حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد الرابع ـ شهر رمضان ـ ١٤٣٥هـ / تموز ـ ٢٠١٤م

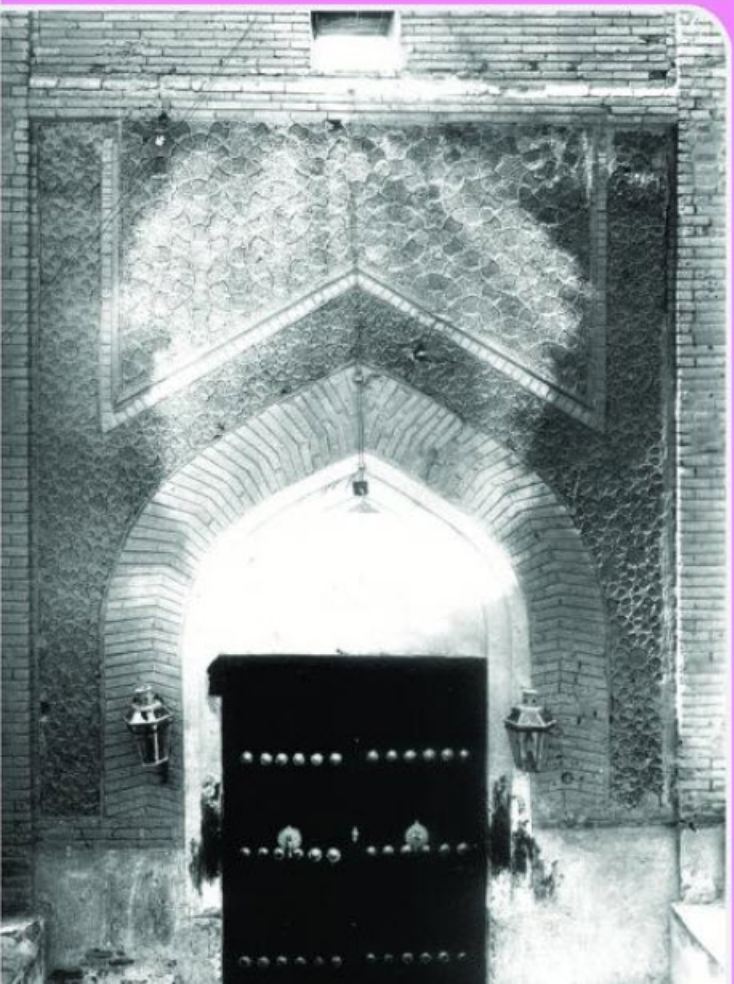

٤

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

أخبار الكوفة
في شرح نهج البلاغة

إعداد : الأستاذ عبد الرسول زين الدين
باحث متتبع بشؤون التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة وأشرف التسليم، على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين،وبعد:

يعتبر كتاب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد من أهم الكتب التأريخية والتي تناولت فترة مهمة من تاريخ الاسلام بدءا من الدعوة الاسلامية حتى استشهاد امير المؤمنين (عليه السلام) في مسجد الكوفة.

وقد تضمن اخبارا مفصلة عن مدينة الكوفة وما جرى فيها من الاحداث وما كان عليه رجالها وولاتها من سيرة كما انه تضمن تفاصيل مهمة عن تاريخ حياة امير المؤمنين (عليه السلام) في هذه المدينة التاريخية المهمة حيث اصبحت في عصره (عليه السلام) عاصمة للخلافة الاسلامية

وقد قمنا بجمع هذه الاخبار المتعلقة بمدينة الكوفة والتي اوردها ابن ابي الحديد في شرحه في هذا الكتاب تسهيلاً للطالبين وعونا للباحثين وخدمة لامير المؤمنين (عليه السلام)، معتمدين على الطبعة المحققة من قبل الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي – القاهرة وقد قسمناه الى عدة فصول هي كما ياتي:

الفصل الاول: في ذكر فضل الكوفة واهلها
فصل الثاني: أخبار امير المؤمنين (عليه السلام) في الكوفة
الفصل الثالث: الحالة الاجتماعية في الكوفة
الفصل الرابع: أخبارر جال الكوفة
الفصل الخامس: أخبار ولاة الكوفة
فصل السادس: أخبار الخوارج في الكوفة

نسال الله ان يجعله ذخراً لنا وينفع به المؤمنين، وصل اللهم على محمد وآله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين

رسول كاظم عبد السادة

الفصل الاول

في ذكر فضل الكوفة واهلها

١– جاء في فضل الكوفة عن أهل البيت (عليهم السلام) شئ كثير، نحو قول أمير المؤمنين (عليه السلام): نعمت المدرة.

وقوله (عليه السلام): إنه يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفا، وجوههم على صورة القمر.

وقوله (عليه السلام): هذه مدينتنا ومحلتنا، ومقر شيعتنا

وقول جعفر بن محمد (عليه السلام): اللهم ارم من رماها، وعاد من عاداها.

وقوله (عليه السلام): تربة تحبنا ونحبها[1].

يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب

٢– عن الاصبغ ابن نباتة، قال: قال علي (عليه السلام): ما يقول الناس في هذا القبر ؟ – بالنخيلة، وبالنخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله – فقال الحسن بن علي (عليهما السلام): يقولون هذا قبر هود لما عصاه قومه، جاء فمات هاهنا، فقال: كذبوا، لانا أعلم به منهم، هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، بكر يعقوب، ثم قال: أهاهنا أحد من مهرة ؟ فأتى بشيخ كبير، فقال: أين منزلك ؟ قال: على شاطئ البحر، قال: أين أنت من الجبل ؟ قال: أنا قريب منه، قال: فما يقول قومك فيه ؟ قال: يقولون: إن فيه قبر ساحر، قال: كذبوا، ذاك قبر هود النبي (عليه السلام)، وهذا قبر يهودا بن يعقوب. ثم قال (عليه السلام): يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفا على غرة الشمس، يدخلون الجنة بغير حساب[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٩٨
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٩٥

عمر والكوفة

٣- قال عمر مرة: قد اعياني اهل الكوفة ان استعملت عليهم ليّنا استضعفوه وان استعملت عليهم شديدا شكوه ! ولوددت اني وجدت رجلا قويا امينا استعمله عليهم. فقال له رجل: انا ادلك يا امير المؤمنين على الرجل القوي الامين قال: من هو ؟ قال: عبد الله بن عمر، قال: قاتلك الله ! والله ما اردت الله بها، لاها الله ! لا استعمله عليها ولا على غيرها وانت فقم فاخرج، فمذ الان لا اسميك إلا المنافق. فقام الرجل وخرج. وكتب الى سعد بن أبي وقاص ان شاور طليحة بن خويلد وعمرو بن معديكرب فإن كل صانع اعلم بصنعته، ولا تولهما من امر المسلمين شيئا[١].

الفصل الثاني

أخبار أمير المؤمنين (عليه السلام) في الكوفة

نحن ضربنا أبا حسن

٤- وأخرج ابن ملجم من بين يدي امير المؤمنين (عليه السلام) وهو يقول:

نحن ضربنا يابنة الخير إذ طغى
أبا حسن مأمومة فتفطرا
ونحن حللنا ملكه من نظامه
بضربة سيف إذ علا وتجبرا
ونحن كرام في الصباح أعزة
إذا المرء بالموت ارتدى وتأزرا[٢].

أمير المؤمنين (عليه السلام) والاشعث

٥- عن موسى بن أبي النعمان قال: جاء الاشعث إلى علي يستأذن عليه، فرده قنبر، فأدمى الاشعث أنفه، فخرج علي وهو يقول: مالي ولك يا أشعث ! أما والله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك ! قيل: يا أمير المؤمنين، ومن عبد ثقيف ؟ قال: غلام لهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا أدخلهم ذلا، قيل: يا أمير المؤمنين، كم يلي - أو كم يمكث ؟ قال: عشرين، إن بلغها[٣].

٦- يروى إنه (عليه السلام) كان جالسا في أصحابه إذ مرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال (عليه السلام): إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس اهله، فإنما هي امرأة كامرأته. فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافرا، ما أفقهه ! قال: فوثب القوم ليقتلوه، فقال (عليه السلام): رويدا إنما هو سب بسب، أو عفو عن ذنب.

قال ابن ابي الحديد وسألني صديقنا علي بن البطريق عن هذه القصة فقال ما باله عفا عن الخارجي وقد طعن فيه بالكفر، وأنكر على الاشعث قوله: «هذه عليك لا لك»، فقال: ما يدريك عليك لعنه الله ما علي مما لي ! حائك ابن حائك، منافق ابن كافر ! وما واجهه به الخارجي أفظع مما واجهه الاشعث ! فقلت: لا أدرى. قال: لان كل صاحب فضيلة يعظم عليه إن يطعن في فضيلته تلك، ويدعى عليه إنه فيها ناقص، وكان علي (عليه السلام) بيت العلم، فلما طعن فيه الاشعث طعن بانك لا تدرى ما عليك مما لك، فشق ذلك عليه، وامتعض منه، وجبهه ولعنه، وأما الخارجي فلم يطعن في علمه، بل أثبته له، واعترف به، وتعجب منه، فقال: «قاتله الله كافرا ما أفقهه»!، فاغتفر له لفظة (كافر) بما اعترف له به من علو طبقته في الفقه، ولم يخشن عليه خشونته على الاشعث، وكان قد مرن على سماع قول الخوارج: أنت كافر، وقد كفرت، يعنون التحكيم، فلم يحفل بتلك اللفظة ونهى أصحابه عن قتله محافظة ورعاية له على ما مدحه به[٤].

ابتداع التراويح في المسجد

٧- عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: **«أيها الناس إن الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة وصلاة الضحى بدعة ألا فلا تجتمعوا ليلا في شهر رمضان في النافلة ولا تصلوا صلاة الضحى فان قليلا في سنة خيرمن كثير في بدعة ألا وإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها في النار»**.

٨- روى: أن عمر خرج في شهر رمضان ليلا فرأى المصابيح في المسجد، فقال: ما هذا ؟ فقيل له: إن الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوع، فقال: بدعة فنعمت البدعة ! فاعترف كما ترى بأنها بدعة، وقد شهد الرسول (صلى الله عليه وآله) أن كل بدعة ضلالة.

٩- وقد روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لما اجتمعوا إليه بالكوفة فسألوه أن ينصب لهم إماما يصلي بهم نافلة شهر رمضان، زجرهم وعرفهم أن ذلك خلاف السنة فتركوه واجتمعوا لانفسهم وقدموا بعضهم فبعث إليهم ابنه الحسن (عليه السلام) فدخل عليهم المسجد ومعه الدرة فلما رأوه تبادروا الابواب وصاحوا وا عمراه[٥].

التسليم على أمير المؤمنين بالولاية

١٠- عن رباح بن الحارث النخعي، قال: كنت جالسا عند علي (عليه السلام)، إذ قدم عليه قوم متلثمون، فقالوا: السلام عليك يا

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٢
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١١٩
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١١٧
(٤) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٦٣
(٥) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٨٣

مولانا، فقال لهم: أو لستم قوما عربا ! قالوا: بلى، ولكنا سمعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول يوم غدير خم: «**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**» قال: فلقد رأيت عليا (عليه السلام) ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: اشهدوا[1].

أول وصول أمير المؤمنين (عليه السلام) للكوفة

١١- قدم علي (عليه السلام) إلى الكوفة نزل على باب المسجد، فدخل فصلى، ثم تحول فجلس إليه الناس، فسأل عن رجل من الصحابة كان نزل الكوفة، فقال قائل: استأثر الله به، فقال علي (عليه السلام): إن الله تبارك وتعالى لا يستأثر بأحد من خلقه، إنما أراد الله جل ذكره بالموت إعزاز نفسه، وإذلال خلقه، وقرأ: ﴿**كُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾، قال نصر: فلما لحقه (عليه السلام) ثقله قالوا: أننزل القصر ؟ فقال: قصر الخبال، لا تنزلوا فيه[2].

إخفاء قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)

١٢- إن عليا (عليه السلام) لما قتل قصد بنوه أن يخفوا قبره خوفا من بني أمية أن يحدثوا في قبره حدثا، فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة - وهي ليلة دفنه - إيهامات مختلفة، فشدوا على جمل تابوتا موثقا بالحبال، يفوح منه روائح الكافور، وأخرجوه من الكوفة في سواد الليل صحبة ثقاتهم، يوهمون أنهم يحملونه إلى المدينة فيدفنونه عند فاطمة (عليها السلام)، وأخرجوا بغلا وعليه جنازة مغطاة، يوهمون أنهم يدفنونه بالحيرة، وحفروا حفائر عدة، منها بالمسجد، ومنها برحبة القصر، قصر الامارة، ومنها في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزومي، ومنها في أصل دار عبد الله ابن يزيد القسري بحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد، ومنها في الكناسة، ومنها في الثوية، فعمى على الناس موضع قبره، ولم يعلم دفنه على الحقيقة إلا بنوه والخواص المخلصون من أصحابه، فإنهم خرجوا به (عليه السلام) وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان، فدفنوه على النجف، بالموضع المعروف بالغرى، بوصاة منه (عليه السلام) إليهم في ذلك، وعهد كان عهد به إليهم، وعمى موضع قبره على الناس، واختلفت الاراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافا شديدا، وافترقت الاقوال في موضع قبره الشريف وتشعبت، وادعى قوم أن جماعة من طيئ وقعوا على جمل في تلك الليلة، وقد أضله أصحابه ببلادهم، وعليه صندوق، فظنوا فيه مالا، فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا به، فدفنوا الصندوق بما فيه، ونحروا البعير وأكلوه، وشاع ذلك في بني أمية وشيعتهم، واعتقدوه حقا، فقال الوليد بن عقبة من أبيات يذكره (عليه السلام) فيها:

فإن يك قد ضل البعير بحمله
فما كان مهديا ولا كان هاديا[3].

شبهة قبر المغيرة

١٣- عن الحسن بن علي الخلال، عن جده، قال: قلت للحسين بن علي (عليه السلام): أين دفنتم أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟ قال: خرجنا به ليلا من منزله حتى مررنا به على منزل الاشعث بن قيس، ثم خرجنا به إلى الظهر بجنب الغرى.

قال ابن ابي الحديد: وهذه الرواية هي الحق وعليها العمل، وقد قلنا فيما تقدم أن أبناء الناس أعرف بقبور آبائهم من غيرهم من الاجانب، وهذا القبر الذى بالغرى، هو الذى كان بنو علي يزورونه قديما وحديثا، ويقولون: هذا قبر أبينا لا يشك أحد في ذلك من الشيعة، ولا من غيرهم، أعني بني علي من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالته المتقدمين منهم والمتأخرين، مازاروا ولا وقفوا إلا على هذا القبر بعينه

١٤- وقد روى أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى في تاريخة المعروف بالمنتظم وفاة أبى الغنائم محمد بن على بن ميمون النرسي المعروف بأبي، لجودة قراءته قال: توفى أبو الغنائم هذا في سنة عشر وخمسمائة، وكان محدثا من أهل الكوفة ثقة حافظا، وكان من قوام الليل ومن أهل السنة، وكان يقول. ما بالكوفة من هو على مذهب أهل السنة وأصحاب الحديث غيري، وكان يقول: مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ليس قبر أحد منهم معروفا إلا قبر أمير المؤمنين، وهو هذا القبر الذى يزوره الناس الان، جاء جعفر بن محمد (عليه السلام) وأبوه محمد بن على بن الحسين (عليهما السلام) إليه، فزاراه ولم يكن إذ ذاك قبرا معروفا ظاهرا، وإنما كان به سرح عضاه حتى جاء محمد بن زيد الداعي صاحب الديلم، فاظهر القبر

١٥- وسالت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه، أن قوما يقولون: إن هذا القبر الذى تزوره الشيعة إلى جانب الغرى هو قبر المغيرة بن شعبة، فقال: غلطوا في ذلك، قبر المغيرة وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة، ونحن نعرفهما وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا. وأنشدني قول الشاعر يرثى زيادا، وقد ذكره أبو تمام في الحماسة:

صلى الاله على قبر وطهره
عند الثوية يسفى فوقه المور
زفت إليه قريش نعش سيدها
فالحلم والجود فيه اليوم مقبور

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٠٨
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٥
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٨١

أبـــا المغيـــرة والـــدنيا مفجعـــة
وإن مـــن غـــرت الـــدنيا لمغـــرور
قـد كـان عنـدك للمعـروف معرفـة
وكـــان عنـــدك للمنكـــور تنكيـــر
وكنت تغشى وتعطى المال من سعة
فـاليوم قبـرك أضـحى وهـو مهجـور
والنـاس بعـدك قـد خفـت حلـومهم
كأنمـــا نفخـــت فيـــه الاعاصـــير

وسألت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبد الله الحسين بن الاقساسي رحمه الله تعالى عن ذلك، فقال: صدق من أخبرك نحن وأهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثوية، وهى إلى اليوم معروفة، وقبر المغيرة فيها، إلا أنها لا تعرف، وقد ابتلعها السبخ وزبد الارض وفورانها، فطمست واختلط بعضها ببعض. ثم قال: إن شئت أن تتحقق أن قبر المغيرة في مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب الاغانى لابي الفرج على بن الحسين، والمح ماقاله في ترجمة المغيرة، وأنه مدفون في مقابر ثقيف، ويكفيك قول أبى الفرج، فإنه الناقد البصير، والطبيب الخبير، فتصفحت ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور، فوجدت الامر كما قاله النقيب[1].

جلد الشاعر النجاشي؟

١٦- خرج النجاشي في أول يوم من شهر رمضان، فمر بأبى سمال الاسدي، وهو قاعد بفناء داره، فقال له: أين تريد ؟ قال: أردت الكناسة، فقال: هل لك في رؤوس وأليات قد وضعت في التنور من أول الليل، فأصبحت قد أينعت وقد تهرأت ؟ قال: ويحك ! في أول يوم من رمضان ! قال: دعنا مما لا نعرف، قال: ثم مه، قال: أسقيك من شراب كالورس، يطيب النفس، ويجرى في العرق، ويزيد في الطرق، يهضم الطعام، ويسهل للفدم الكلام، فنزل، فتغديا، ثم أتاه بنبيذ فشرباه، فلما كان آخر النهار علت أصواتهما، ولهما جار من شيعة علي (عليه السلام)، فأتاه فأخبره بقصتهما، فأرسل إليهما قوما فأحاطوا بالدار، فأما أبو سمال فوثب إلى دور بنى أسد فأفلت، وأخذ النجاشي فأتى (عليه السلام) به، فلما أصبح أقامه في سراويل، فضربه ثمانين، ثم زاده عشرين سوطا، فقال: يا أمير المؤمنين، أما الحد فقد عرفته، فما هذه العلاوة؟ قال: لجراءتك على الله، وإفطارك في شهر رمضان. ثم أقامه في سراويله للناس، فجعل الصبيان يصيحون به: خرى النجاشي، خرى النجاشي ! وجعل يقول: كلا إنها يمانية وكاؤها شعر. قال: ومر به هند بن عاصم السلولى، فطرح عليه مطرفا، فجعل الناس يمرون به ويطرحون عليه المطارف، حتى اجتمعت عليه مطارف كثيرة، فمدح بنى سلول فقال:

إذا الله حيـا صـالحا مـن عبـاده
تقيـا فحيـا الله هنـد بـن عاصـم
وكـل سـلولى إذا مـا دعوتـه
سـريع إلـى داعـى العـلا والمكـارم
هـم البـيض أقـداما وديبـاج أوجـه
جلوهـا إذا اسـودت وجـوه الملائـم
ولا يأكـل الكلـب السـروق نعـالهم
ولا يبتغـى المـخ الـذى فـي الجمـاجم

ثم لحق معاوية، وهجا عليا (عليه السلام)، فقال:

ألا مـن مبلـغ عنـى عليـا
بـانى قـد أمنـت فـلا أخـاف
عمـدت لمـستقر الحـق لمـا
رأيـت أمـوركم فيهـا اخـتلاف[2]

هدم دار جرير بالكوفة

١٧- كان الاشعث بن قيس الكندى وجرير بن عبد الله البجلى يبغضانه، وهدم علي (عليه السلام) دار جرير بن عبد الله. قال إسمعيل بن جرير: هدم علي دارنا مرتين[3].

المرور بظهر الكوفة

١٨- أبو سعيد التيمى المعروف بعقيصى، قال: كنا مع علي (عليه السلام) في مسيره إلى الشام، حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد، عطش الناس واحتاجوا إلى الماء، فانطلق بنا علي (عليه السلام) حتى أتى بنا إلى صخرة ضرس في الارض، كأنها ربضة عنز، فأمرنا فاقتلعناها، فخرج لنا من تحتها ماء، فشرب الناس منه، وارتووا. ثم أمرنا فأكفأناها عليه. وسار الناس حتى إذا مضى قليلا، قال (عليه السلام): أمنكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذى شربتم منه ؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فانطلقوا إليه، فانطلق منا رجال ركبانا ومشاة، فاقتصصنا الطريق إليه، حتى انتهينا إلى المكان الذى نرى أنه فيه، فطلبناه، فلم نقدر على شئ، حتى إذا عيل علينا انطلقنا إلى دير قريب منا، فسألناهم: أين هذا الماء الذى عندكم ؟ قالوا: ليس قربنا ماء، فقلنا: بلى إنا شر بنا منه، قالوا: أنتم شربتم منه ! قلنا: نعم، فقال صاحب الدير: والله ما بنى هذا الدير إلا بذلك الماء، وما استخرجه إلا نبى أو وصى نبي[4].

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٢٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٨٨

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٤

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٠٤

قصة اللجام في باب المسجد

١٩- دخل علي (عليه السلام) المسجد، وقال لرجل: أمسك على بغلتي، فخلع لجامها، وذهب به، فخرج علي (عليه السلام) بعد ما قضى صلاته، وبيده درهمان ليدفعهما إليه مكافأة له، فوجد البغلة عطلا، فدفع إلى أحد غلمانه الدرهمين، ليشترى بهما لجاما، فصادف الغلام اللجام المسروق في السوق، قد باعه الرجل بدرهمين، فأخذه بالدرهمين وعاد إلى مولاه، فقال علي (عليه السلام): **«إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر، ولا يزاد على ما قدر له»**[1].

طريق علي عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية

٢٠- قال نصر: لما وضع علي (عليه السلام) رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى صفين، قال: **«بسم الله»**، فلما جلس على ظهرها، قال: **«﴿سُبْحانَ الَّذي سَخَّرَ لَنا هذا وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنينَ، وَإِنَّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ﴾، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر»**... إلى آخر الفصل. وزاد فيه نصر: **«ومن الحيرة بعد اليقين»**. قال: ثم خرج أمامه الحر بن سهم بن طريف، وهو يرتجز ويقول:

يا فرسي سيري وأمي الشاما
وقطعي الحزون والاعلاما
ونابذي من خالف الإماما
إني لأرجو إن لقينا العاما
جمع بني أمية الطغاما
أن نقتل العاصي والهماما
وأن نزيل من رجال هاما

قال: وقال حبيب بن مالك، وهو على شرطة علي (عليه السلام)، وهو آخذ بعنان دابته: يا أمير المؤمنين، أتخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد بالقتال، وتخلفني بالكوفة لحشر الرجال! فقال (عليه السلام): إنهم لن يصيبوا من الاجر شيئا إلا كنت شريكهم فيه، وأنت هاهنا أعظم غناء عنهم منك لو كنت معهم. فخرج علي (عليه السلام)، حتى إذا حاذى الكوفة صلى ركعتين.

٢١- وعن أبي الحسين زيد بن علي (عليه السلام)، عن آبائه: أن عليا (عليه السلام) خرج وهو يريد صفين، حتى إذا قطع النهر، أمر مناديه، فنادى بالصلاة، فتقدم فصلى ركعتين، حتى إذا قضى الصلاة، أقبل على الناس بوجهه، فقال: أيها الناس، ألا من كان مشيعا أو مقيما فليتم الصلاة، فإنا قوم سفر، ألا ومن صحبنا فلا يصومن المفروض. والصلاة المفروضة ركعتان. قال نصر: ثم خرج حتى نزل دير أبي موسى - وهو من الكوفة على فرسخين - فصلى به العصر، فلما انصرف من الصلاة، قال: سبحان الله ذى الطول والنعم! سبحان الله ذى القدرة والافضال، أسأل الله الرضا بقضائه، والعمل بطاعته، والانابة إلى أمره، إنه سميع الدعاء. قال نصر: ثم خرج (عليه السلام) حتى نزل على شاطئ نرس بين موضع حمام أبي بردة وحمام عمر، فصلى بالناس المغرب، فلما انصرف، قال: الحمد لله الذى يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، والحمد لله كلما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق. ثم أقام حتى صلى الغداة، ثم شخص حتى بلغ إلى قبه قبين، وفيها نخل طوال إلى جانب البيعة من وراء النهر، فلما رآها، قال: **﴿وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾**. ثم أقحم دابته النهر، فعبر إلى تلك البيعة فنزلها، ومكث قدر الغداء. قال نصر: وحدثنا عمر بن سعد، عن محمد بن مخنف بن سليم قال: إني لانظر إلى أبي وهو يساير عليا (عليه السلام)، وعلي يقول له: إن بابل أرض قد خسف بها، فحرك دابتك لعلنا نصلى العصر خارجا منها. فحرك دابته، وحرك الناس دوابهم في أثره، فلما جاز جسر الفرات، نزل فصلى بالناس العصر. قال: حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مره الثقفي، عن أبيه، عن عبد خير، قال: كنت مع علي أسير في أرض بابل، قال: وحضرت الصلاة صلاة العصر، قال: فجعلنا لا نأتى مكانا إلا رأيناه أفيح من الاخر، قال: حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشمس أن تغيب. قال: فنزل علي (عليه السلام)، فنزلت معه، قال: فدعا الله، فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر. قال: فصليت العصر، ثم غابت الشمس، ثم خرج حتى اتى دير كعب ثم خرج منه فبات بساباط، فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النزل والطعام، فقال: لا، ليس ذلك لنا عليكم. فلما أصبح وهو بمظلم ساباط قرأ: **﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾**. قال نصر: وبلغ عمرو بن العاص مسيره فقال:

لا تحسبني يا على غافلاً
لاوردن الكوفة القنابلا
بجمعي العام وجمعي قابلا

قال: فبلغ ذلك عليا (عليه السلام)، فقال:

لاوردن العاصي ابن العاصي
سبعين ألفا عاقدي النواصي
مستحقبين حلق الدلاص
قد جنبوا الخيل مع القلاص
أسود غيل حين لا مناص[2]

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٦٦

عتاب مع بعض اهل الكوفة

٢٢- عن محمد بن مخنف، قال: دخلت مع أبى على علي (عليه السلام) مقدمه من البصرة، وهو عام بلغت الحلم، فإذا بين يديه رجال يؤنبهم، ويقول لهم: ما أبطأ بكم عنى، وأنتم أشراف قومكم ! والله إن كان من ضعف النية وتقصير البصيرة، إنكم لبور، وإن كان من شك في فضلي ومظاهرة علي، إنكم لعدو. فقالوا: حاش لله يا أمير المؤمنين ! نحن سلمك وحرب عدوك. ثم اعتذر القوم فمنهم من ذكر عذرا، ومنهم من اعتل بمرض، ومنهم من ذكر غيبة، فنظرت إليهم فعرفتهم، فإذا عبد الله المعتم العبسي، وحنظلة بن الربيع التميمي، وكلاهما كانت له صحبة، وإذا أبو بردة بن عوف الازدي، وإذا غريب بن شرحبيل الهمداني. قال: ونظر علي (عليه السلام) إلى أبي، فقال: ولكن مخنف بن مسلم وقومه لم يتخلفوا، ولم يكن مثلهم كمثل القوم الذين قال الله تعالى فيهم: **﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً، وَلَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾**[1].

ناشد الناس الله في الرحبة بالكوفة

٢٣- قال (عليه السلام) لانس بن مالك، وقد كان بعثه إلى طلحة والزبير لما جاء إلى البصرة يذكرهما شيئا قد سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في معناهما، فلوى عن ذلك فرجع إليه، فقال: إنى أنسيت ذلك الامر، فقال (عليه السلام): إن كنت كاذبا فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة. قال: يعنى البرص، فأصاب أنسا هذا الداء فيما بعد في وجهه، فكان لا يرى إلا متبرقعا.

المشهور أن عليا (عليه السلام) ناشد الناس الله في الرحبة بالكوفة، فقال: أنشدكم الله رجلا سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لى وهو منصرف من حجة الوداع: **«من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»** فقام رجال فشهدوا بذلك، فقال (عليه السلام) لانس بن مالك: لقد حضرتها، فما بالك ! فقال: يا أمير المؤمنين كبرت سنى، وصار ما أنساه أكثر مما أذكره، فقال له: إن كنت كاذبا فضربك الله بها بيضاء لا تواريها العمامة، فما مات حتى أصابه البرص[2].

مجلس الامام على بن أبى طالب (عليه السلام)

٢٤- كان على بن أبى طالب (عليه السلام) يعشي الناس في شهر رمضان باللحم ولا يتعشى معهم، فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم، فأفاضوا ليلة في الشعراء وهم على عشائهم، فلما فرغوا خطبهم (عليه السلام) وقال في خطبته: اعلموا إن ملاك أمركم الدين، وعصمتكم التقوى، وزينتكم الادب، وحصون أعراضكم الحلم، ثم قال: قل يا أبا الاسود: فيم كنتم تفيضون فيه ؟ أي الشعراء أشعر ؟ فقال: يا أمير المؤمنين الذى يقول:

ولقد اغتدى يدافع ركني أعوجى ذو ميعة اضريج

مخلط مزيل معن مفن منفح مطرح سبوح خروج

يعنى أبا دواد الايادي،

فقال (عليه السلام): ليس به، قالوا فمن يا أمير المؤمنين ؟ فقال: لو رفعت للقوم غاية فجروا إليها معا علمنا من السابق منهم، ولكن ان يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة. قيل: من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال: هو الملك الضليل ذو القروح، قيل: امرؤ القيس يا امير المؤمنين ؟ قال: هو قيل: فاخبرنا عن ليلة القدر ؟ قال: ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها، ولست أشك أن الله إنما يسترها عنكم نظرا لكم، لانه لو أعلمكموها عملتم فيها وتركتم غيرها، وأرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله، انهضوا رحمكم الله[3].

إنى منيت بشرار خلق الله

٢٥- عن الاعمش، قال: كان أبو مريم صديقا لعلي (عليه السلام)، فسمع بما كان فيه علي (عليه السلام) من اختلاف أصحابه عليه، فجاءه، فلم ير عليا (عليه السلام) إلا وهو قائم على رأسه بالعراق، فقال له: أبا مريم، ما جاء بك نحوي ؟ قال: ما جاء بى غيرك، عهدي بك لو وليت أمر الامة كفيتهم، ثم سمعت بما أنت فيه من الاختلاف ! فقال: يا أبا مريم، إنى منيت بشرار خلق الله، أريدهم على الامر الذى هو الرأى، فلا يتبعونني[4].

لا يموت حتى يدخل من باب المسجد

٢٦- بينما علي بن أبى طالب (عليه السلام) على منبر الكوفة، إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين، مات خالد بن عرفطة، فقال: لا والله ما مات ولا يموت حتى يدخل من باب المسجد، وأشار إلى باب الفيل، ومعه راية ضلالة يحملها حبيب بن حماد. قال: فوثب رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن حماد، وأنا لك شيعة، فقال: فإنه كما أقول: فوالله لقد قدم خالد بن عرفطة على مقدمة معاوية يحمل رايته حبيب ابن حماد. قال أبو الفرج: وقال مالك بن سعيد، وحدثني الاعمش بهذا الحديث، قال: حدثنى صاحب هذه الدار - وأشار إلى دار السائب أبى عطاء - أنه سمع عليا (عليه السلام) يقول هذا[5].

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢١٧

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٥٣

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٩٦

(٥) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٤٧

أهل الكوفة فسدوا في آخر خلافة أمير المؤمنين

٢٧- وقيل إن اصل هذه العصبية ؛ وهذه الخطبة ؛ أن اهل الكوفة كانوا قد فسدوا في آخر خلافة امير المؤمنين، وكانوا قبائل في الكوفة، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة اخرى، فينادي باسم قبيلته يا للنخع مثلا، أو يا لكندة نداء عاليا يقصد به الفتنة واثارة الشر، فيتالب عليه فتيان القبيلة التى مر بها فينادون يا لتميم ويا لربيعة ويقبلون الى ذلك الصائح فيضربونه، فيمضي إلى قبيلته فيستصرخها، فتسل السيوف وتثور الفتن، ولا يكون لها أصل في الحقيقة إلا تعرض الفتيان بعضهم ببعض[١].

ليأتيني من أهل الكوفة ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً

٢٨- عن ابن عباس، قال: لما نزلنا مع علي (عليه السلام) ذا قار، قلت: يا أمير المؤمنين، ما أقل من ياتيك من أهل الكوفة فيما أظن ! فقال: والله ليأتيني منهم ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا، لا يزيدون ولا ينقصون. قال ابن عباس: فدخلني والله من ذلك شك شديد في قوله، وقلت في نفسي: والله إن قدموا لاعدنهم. قال أبو مخنف: فحدث ابن إسحاق، عن عمه عبد الرحمن بن يسار، قال: نفر إلى علي (عليه السلام) إلى ذي قار من الكوفة في البحر والبر ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا. أقام علي بذى قار خمسة عشر يوما، حتى سمع صهيل الخيل وشحيح البغال حوله. قال: فلما سار بهم منقلة، قال ابن عباس: والله لاعدنهم، فإن كانوا كما قال، وإلا أتممتهم من غيرهم، فإن الناس قد كانوا سمعوا قوله. قال: فعرضتهم فو الله ما وجدتهم يزيدون رجلا، ولا ينقصون رجلا، فقلت: الله أكبر ! صدق الله ورسوله ! ثم سرنا[٢].

رأيت خير الناس في الكوفة

٢٩- ذكر الشعبي، قال: دخلت الرحبة بالكوفة - وأنا غلام - في غلمان، فإذا أنا بعلي (عليه السلام) قائما على صبرتين من ذهب وفضة، ومعه مخفقة، وهو يطرد الناس بمخفقته ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين الناس، حتى لم يبق منه شئ، ثم انصرف ولم يحمل إلى بيته قليلا ولا كثيرا. فرجعت إلى أبي، فقلت له: لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحمق الناس. قال: من هو يا بني، قلت: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، رأيته يصنع كذا، فقصصت عليه، فبكى، وقال: يا بني بل رأيت خير الناس[٣].

قسمة المال في الكوفة

٣٠- عن زاذان، قال: انطلقت مع قنبر غلام علي (عليه السلام)، فإذا هو يقول: قم يا أمير المؤمنين، فقد خبات لك خبيئا، قال: وما هو، ويحك ! قال: قم معي، فانطلق به إلى بيته، وإذا بغرارة مملوءة من جامات ذهبا وفضة، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتك لا تترك شيئا إلا قسمته، فادخرت لك هذا من بيت المال، فقال علي (عليه السلام): ويحك يا قنبر ! لقد أحببت أن تدخل بيتي نارا عظيمة. ثم سل سيفه وضربه ضربات كثيرة، فانتثرت من بين إناء مقطوع نصفه، وآخر ثلثه، ونحو ذلك، ثم دعا بالناس، فقال: اقسموه بالحصص، ثم قام إلى بيت المال، فقسم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت إبرا ومسال، فقال: ولتقسموا هذا، فقالوا: لا حاجة لنا فيه، وقد كان علي (عليه السلام) يأخذ من كل عامل مما يعمل. فضحك، وقال: ليؤخذن شره مع خيره[٤].

٣١- عن عاصم بن كليب الجرمي، عن أبيه، قال: شهدت عليا (عليه السلام) وقد جاءه مال من الجبل، فقام وقمنا معه، وجاء الناس يزدحمون، فأخذ حبالا فوصلها بيده، وعقد بعضها إلى بعض، ثم أدارها حول المال، وقال: لا أحل لاحد أن يجاوز هذا الحبل، قال: فقعد الناس كلهم من وراء الحبل، ودخل هو، فقال: أين رؤوس الاسباع ؟ وكانت الكوفة يومئذ أسباعا - فجعلوا يحملون هذه الجوالق إلى هذه الجوالق، وهذا إلى هذا، حتى استوت القسمة سبعة أجزاء، ووجد مع المتاع رغيف، فقال: اكسروه سبع كسر، وضعوا على كل جزء كسرة، ثم قال:

هذا جناي وخياره فيه

إذ كل جان يده إلى فيه

ثم أقرع عليها ودفعها إلى رؤوس الاسباع، فجعل كل رجل منهم يدعو قومه فيحملون الجواليق[٥].

٣٢- قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلي (عليه السلام): يا أمير المؤمنين، لو أمرت لي بمعونة أو نفقة ! فو الله ما لي نفقة إلا أن أبيع دابتي، فقال: لا والله ما أجد لك شيئا إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك.

٣٣- وروى بكر بن عيسى، قال: كان علي (عليه السلام) يقول: يا أهل الكوفة، إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي، ورحلي وغلامي فلان، فانا خائن. فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم، ويأكل هو الثريد بالزيت[٦].

طعام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الكوفة

٣٤- عن عقبة بن علقمة، قال: دخلت على علي (عليه السلام)، فإذا بين يديه لبن حامض، آذتني حموضته، وكسر يابسة، فقلت: يا

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٦٧
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٨٧
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٩٨
(٤) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٩٩
(٥) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٩٩
(٦) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠٠

أمير المؤمنين، أ تأكل مثل هذا ! فقال لي: يا أبا الجنوب، كان رسول الله يأكل أيبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا، وأشار إلى ثيابه، فإن أنا لم آخذ بما آخذ به خفت ألا ألحق به[1].

٣٥- عن سويد بن علقمة، قال: دخلت على علي (عليه السلام) بالكوفة، فإذا بين يديه قعب لبن أجد ريحه من شدة حموضته، وفي يده رغيف، ترى قشار الشعير على وجهه، وهو يكسره، ويستعين أحيانا بركبته، وإذا جاريته فضة قائمة على رأسه، فقلت: يا فضة، أ ما تتقون الله في هذا الشيخ ! أ لا نخلتم دقيقه ؟ فقالت: إنا نكره أن نؤجر ويأثم، نحن قد أخذ علينا ألا ننخل له دقيقا ما صحبناه - قال: وعلي (عليه السلام) لا يسمع ما تقول، فالتفت إليها فقال: ما تقولين ؟ قالت: سله، فقال لي: ما قلت لها ؟ قال: فقلت إني قلت لها: لو نخلتم دقيقه ! فبكى، ثم قال: بأبي وأمي من لم يشبع ثلاثا متوالية من خبز بر حتى فارق الدنيا، ولم ينخل دقيقه، قال: يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله)[2].

في سوق الكوفة

٣٦- عن صالح بياع الاكسية، أن جدته لقيت عليا (عليه السلام) بالكوفة، ومعه تمريحمله، فسلمت عليه، وقالت له: أعطني يا أمير المؤمنين هذا التمر أحمله عنك إلى بيتك، فقال: أبو العيال أحق بحمله. قالت: ثم قال لي: أ لا تأكلين منه ؟ فقلت: لا أريد، قالت: فانطلق به إلى منزله ثم رجع مرتديا بتلك الشملة، وفيها قشور التمر، فصلى بالناس فيها الجمعة[3].

٣٧-عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: ابتاع علي (عليه السلام) في خلافته قميصا سملا بأربعة دراهم، ثم دعا الخياط فمد كم القميص، وأمره بقطع ما جاوز الاصابع[4].

مر (عليه السلام) بدار بالكوفة في مراد تبنى

٣٨ - مر امير المؤمنين (عليه السلام) بدار بالكوفة في مراد تبنى فوقعت منها شظية على صلعته فأدمتها، فقال: ما يومى من مراد بواحد ! اللهم لا ترفعها، قالوا: فو الله لقد رأينا تلك الدار بين الدور كالشاة الجماء بين الغنم ذوات القرون[5].

مقدمتي تأتى من ورائي !

٣٩- لما قطع علي (عليه السلام) الفرات، دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ فسرحهما أمامه نحو معاوية، على حالهما الذى كانا عليه حين خرجا من الكوفة، في اثنى عشر ألفا، وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة مقدمة له أخذا على شاطئ الفرات من قبل البر، مما يلى الكوفة حتى بلغا عانات، فبلغهم أخذ علي (عليه السلام) طريق الجزيرة، وعلما أن معاوية قد أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقباله، فقالا: والله ما هذا برأى، أن نسير وبيننا وبين أمير المؤمنين هذا البحر، وما لنا خير في أن نلقى جموع الشام في قلة من العدد، منقطعين عن المدد. فذهبوا ليعبروا من عانات، فمنعهم أهلها، وحبسوا عنهم السفن، فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت، ولحقوا عليا (عليه السلام) بقرية دون قرقيسيا، فلما لحقوا عليا (عليه السلام) عجب، وقال: مقدمتي تأتى من ورائي ! فقام له زياد وشريح، وأخبراه بالرأى الذى رأيا. فقال: قد أصبتما رشدكما. فلما عبرو الفرات قدمهما أمامه نحو معاوية، فلما انتهيا إلى معاوية، لقيهما أبو الأعور السلمى في جنود من أهل الشام، وهو على مقدمة معاوية، فدعواه إلى الدخول في طاعة أمير المؤمنين (عليه السلام) فأبى، فبعثوا إلى علي (عليه السلام): إنا قد لقينا أبا الاعور السلمى بسور الروم في جند من أهل الشام، فدعوناه وأصحابه إلى الدخول في طاعتك، فأبى علينا، فمرنا بأمرك[6].

ترتيب عسكر علي (عليه السلام) بصفين

٤٠- كان ترتيب عسكر علي (عليه السلام)، بموجب ما رواه لنا عمرو بن شمر، عن جابر، عن محمد بن على، وزيد بن حسن، ومحمد بن عبد المطلب: أنه جعل على الخيل عمار بن ياسر، وعلى الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى، ودفع اللواء إلى هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الزهري، وجعل على الميمنة الاشعث بن قيس، وعلى الميسرة عبد الله بن العباس، وجعل على رجالة الميمنة سليمان بن صرد الخزاعى، وعلى رجالة الميسرة الحارث بن مرة العبدى، وجعل القلب مضر الكوفة والبصرة، وجعل على ميمنة القلب اليمن وعلى ميسرته ربيعة، وعقد ألوية القبائل، فأعطاها قوما منهم بأعيانهم، وجعلهم رؤساءهم وأمراءهم، وجعل على قريش وأسد وكنانة عبد الله بن عباس، وعلى كندة حجر بن عدى الكندى، وعلى بكر البصرة الحصين بن المنذر الرقاشى، وعلى تميم البصرة الاحنف بن قيس، وعلى خزاعة عمرو بن الحمق، وعلى بكر الكوفة نعيم بن هبيرة، وعلى سعد البصرة وربابها جارية بن قدامة السعدى، وعلى بجيلة رفاعة بن شداد، وعلى ذهل الكوفة رويما الشيباني - أو يزيد بن رويم - وعلى عمرو البصرة وحنظلتها أعين بن ضبيعة، وعلى قضاعة وطيئ عدى بن حاتم الطائى، وعلى لهازم الكوفة عبد الله بن حجل العجلى، وعلى تميم الكوفة عمير بن عطارد، وعلى الازد واليمن جندب بن زهير، وعلى ذهل البصرة خالد بن المعمر السدوسى، وعلى عمرو الكوفة وحنظلتها شبث بن ربعى، وعلى همدان سعيد بن قيس، وعلى لهازم البصرة حريث ابن جابر الجعفي، وعلى سعد الكوفة وربابها الطفيل أبا صريمة، وعلى مذحج الاشتر بن الحارث النخعي، وعلى عبد القيس الكوفة صعصعة بن صوحان، وعلى عبد

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠١
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠١
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠٢
(٤) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠٢
(٥) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢٥٥
(٦) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢١٢

القيس البصرة عمرو بن حنظلة، وعلى قيس الكوفة عبد الله بن الطفيل البكائى، وعلى قريش البصرة الحارث بن نوفل الهاشمي وعلى قيس البصرة قبيصة بن شداد الهلالي، وعلى اللفيف من القواصى القاسم بن حنظلة الجهنى. وأما معاوية فاستعمل على الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى الرجالة مسلم بن عقبة المرى، وجعل على الميمنة عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى الميسرة حبيب ابن مسلمة الفهرى، وأعطى اللواء عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وجعل على أهل دمشق - وهم القلب - الضحاك بن قيس الفهرى، وعلى أهل حمص - وهم الميمنة - ذا الكلاع الحميرى، وعلى أهل قنسرين - وهم في الميمنة أيضا - زفر بن الحارث الكلابي، وعلى أهل الاردن - وهم الميسرة - سفيان بن عمرو أبا الاعور السلمى، وعلى أهل فلسطين - وهم في الميسرة أيضا - مسلمة بن مخلد، وعلى رجالة أهل دمشق بسر بن أبى أرطاة العامري بن لؤى بن غالب، وعلى رجالة أهل حمص حوشبا ذا ظليم، وعلى رجالة قيس طريف بن حابس الالهانى، وعلى رجالة الاردن عبد الرحمن بن قيس القينى، وعلى رجالة أهل فلسطين الحارث بن خالد الازدي، وعلى رجالة قيس دمشق همام بن قبيصة، وعلى قضاعة حمص وإيادها بلال بن أبى هبيرة الازدي، وحاتم بن المعتمر الباهلى، وعلى رجالة الميمنة حابس بن سعيد الطائى، وعلى قضاعة دمشق حسان بن بحدل الكلبى، وعلى قضاعة عباد بن يزيد الكلبى، وعلى كندة دمشق حسان بن حوى السكسكى، وعلى كندة حمص يزيد بن هبيرة السكوني، وعلى سائر اليمن يزيد بن أسد البجلى، وعلى حمير وحضر موت اليمان بن غفير، وعلى قضاعة الاردن حبيش بن دلجة القينى، وعلى كنانة فلسطين شريكا الكنانى، وعلى مذحج الاردن المخارق بن الحارث الزبيدى، وعلى جذام فلسطين ولخمها نائل بن قيس الجذامي، وعلى همدان الاردن حمزة بن مالك الهمداني، وعلى الخثعم حمل بن عبد الله الخثعمي، وعلى غسان الاردن يزيد بن الحارث وعلى جميع القواصى القعقاع بن أبرهة الكلاعى، أصيب في المبارزة أول يوم تراءت فيه الفئتان (عليه السلام) بعث على ميمنته عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى، وعلى ميسرته عبد الله بن بعث على ميمنته عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى، وعلى ميسرته عبد الله بن العباس، وعلى خيل الكوفة الاشتر، وعلى البصرة سهل بن حنيف، وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر، وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد - كان قد أقبل من مصر إلى صفين - وجعل معه هاشم بن عتبة، وجعل مسعود بن فدكى التميمي على قراء أهل البصرة، وأما قراء أهل الكوفة فصاروا إلى عبد الله بن بديل، وعمار بن ياسر. وأما ترتيب عسكر الشام - فيما رواه لنا عمر بن سعد، عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، عن القاسم مولى يزيد بن معاوية - فإن معاوية بعث على ميمنته ذا الكلاع، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهرى، وعلى مقدمته من يوم أقبل من دمشق أبا الاعور السلمى، وكان على خيل دمشق كلها عمرو بن العاص، ومعه خيول أهل الشام بأسرها، وجعل مسلم بن عقبة المرى على رجالة دمشق، والضحاك بن قيس على سائر الرجالة بعد[1].

نزول علي الى الرقة

٤١- مضى علي (عليه السلام)، حتى نزل بأرض الجزيرة، فاستقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط بجزور، فقال (عليه السلام) ليزيد بن قيس الارحبي: يا يزيد، قال: لبيك يا أمير المؤمنين ! قال: هؤلاء قومك، من طعامهم فاطعم، ومن شرابهم فاشرب. قال: ثم سار حتى أتى الرقة - وجل أهلها عثمانية، فروا من الكوفة إلى معاوية - فأغلقوا أبوابها دونه، وتحصنوا، وكان أميرهم سماك بن مخرقة الاسدي في طاعة معاوية، وقد كان فارق عليا (عليه السلام) في نحو من مائة رجل من بنى إسد، ثم كاتب معاوية، وأقام بالرقة حتى لحق به سبعمائة رجل.روى حبة أن عليا (عليه السلام) لما نزل على الرقة، نزل بموضع يقال له البليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته، فقال لعلي (عليه السلام): إن عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك ؟ قال: نعم، فقرأ الراهب الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم. الذى قضى فيما قضى، وسطر فيما كتب: أنه باعث في الاميين رسولا منهم، يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، بل يعفو ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل نشر و، في كل صعود وهبوط تذل ألسنتهم بالتكبير والتهليل، والتسبيح، وينصره الله على من ناواه، فإذا توفاه الله، اختلفت أمته من بعده، ثم اجتمعت، فلبثت ما شاء الله، ثم اختلفت، فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقضى بالحق ولا يركس الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمان. يخاف الله في السر، وينصح له في العلانية، لا يخاف في الله لومة لائم، فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فامن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فإن القتل معه شهادة. ثم قال له: أنا مصاحبك، فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك. فبكى (عليه السلام)، ثم قال: الحمد لله الذى لم أكن عنده منسيا، الحمد لله الذى ذكرني عنده في كتب الابرار. فمضى الراهب معه، فكان فيما ذكروا يتغدى مع أمير المؤمنين ويتعشى، حتى أصيب يوم صفين، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال (عليه السلام): اطلبوه، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه. وقال: هذا منا أهل البيت، واستغفر له مرارا[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٢٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٠٤

لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة، لعلمنا أنه لم يمت

٤٢- إن جماعة من أصحاب علي، منهم عبد الله بن عباس، شفعوا في عبد الله بن سبا خاصة، وقالوا: يا أمير المؤمنين، إنه قد تاب فاعف عنه، فأطلقه بعد أن اشترط عليه ألا يقيم بالكوفة، فقال: أين أذهب ؟ قال: المدائن، فنفاه إلى المدائن، فلما قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) أظهر مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه، وقال لما بلغه قتل علي: والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة، لعلمنا أنه لم يمت، ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه. فلما بلغ ابن عباس، ذلك قال: لو علمنا أنه يرجع لما تزوجنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه[1].

من لم يرض بهذا فهو خائن جبار

٤٣- أجاب علي (عليه السلام) إلى السير جل الناس، إلا أن أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه، فيهم عبيدة السلماني وأصحابه، فقالوا له: إنا نخرج معكم، ولا نترك عسكركم ونعسكر على حدة، حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له أو بدا لنا منه بغى كنا عليه. فقال لهم علي (عليه السلام): مرحبا وأهلا، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة، من لم يرض بهذا فهو خائن جبار

وأتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود، منهم الربيع بن خثيم، وهم يومئذ أربعمائة رجل، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا قد شككنا في هذا القتال، على معرفتنا بفضلك، ولا غناء بنا ولا بك ولا بالمسلمين عمن يقاتل العدو، فولنا بعض هذه الثغور نكمن ثم نقاتل عن أهله، فوجه علي (عليه السلام) بالربيع بن خثيم على ثغر الري، فكان أول لواء عقده (عليه السلام) بالكوفة لواء الربيع بن خثيم[2].

عساكر الكوفة يوم صفين

٤٤- كتب علي (عليه السلام) إلى أمراء الاجناد وكان قد قسم عسكره أسباعا، فجعل على كل سبع أميرا،

فجعل سعد بن مسعود الثقفي على قيس وعبد القيس،

ومعقل بن قيس اليربوعي على تميم وضبة والرباب وقريش وكنانة وأسد،

ومخفف بن سليم على الازد وبجيلة وخثعم الانصار وخزاعة،

وحجر ابن عدى الكندى على كندة وحضرموت وقضاعة،

وزياد بن النضر على مذحج والاشعريين،

وسعيد بن مرة الهمداني على همدان ومن معهم من حمير،

وعدى بن حاتم الطائى على طيئ، تجمعهم الدعوة مع مذحج، وتختلف الرايتان: راية مذحج مع زياد بن النضر، وراية طيئ مع عدى بن حاتم، هذه عساكر الكوفة.

وأما عساكر البصرة فخالد بن معمر السدوسى على بكر بن وائل،

وعمرو بن مرجوم العبدى على عبد القيس، وابن شيمان الازدي على الازد،

والاحنف على تميم وضبة والرباب،

وشريك ابن الاعور الحارثى على أهل العالية:

أما بعد، فإنى أبرأ إليكم من معرة الجنود إلا من جوعة إلى شبعة، ومن فقر إالى غنى، أو عمى إلى هدى، فإن ذلك عليهم. فاغربوا الناس عن الظلم والعدوان، وخذوا على أيدى سفهائكم، واحترسوا أن تعملوا أعمالا لا يرضى الله بها عنا فيرد بها علينا وعليكم دعاءنا، فإنه تعالى يقول: ﴿**قُلْ ما يَعْبَؤُ بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ**﴾. وإن الله إذا مقت قوما من السماء هلكوا في الارض، فلا تألوا أنفسكم خيرا، ولا الجند حسن سيرة، ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة، وأبلوا في سبيله ما استوجب عليكم، فإن الله قد اصطنع عندنا وعندكم ما يجب علينا أن نشكره بجهدنا، وأن ننصره ما بلغت قوتنا ولا قوة إلا بالله[3].

حتى ضاعت النعل وسقط الرداء

٤٥- قام عدى بن حاتم الطائى إلى علي (عليه السلام)، فقال: يا أمير المؤمنين إن عندي رجلا لا يوازى به رجل، وهو يريد أن يزور ابن عمة حابس بن سعد الطائى بالشام، فلو أمرناه أن يلقى معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام، فقال علي (عليه السلام): نعم، فأمره عدى بذلك - وكان اسم الرجل خفاف بن عبد الله. فقدم على ابن عمه حابس بن سعد بالشام - وحابس سيد طئ بها - فحدث خفاف حابسا أنه شهد عثمان بالمدينة، وسار مع علي إلى الكوفة، وكان لخفاف لسان وهيئة وشعر، فغدا حابس بخفاف إلى معاوية، فقال: إن هذا ابن عم لي، قدم الكوفة مع علي، وشهد عثمان بالمدينة، وهو ثقة. فقال له معاوية: هات، حدثنا عن عثمان، فقال: نعم حصره المكشوح وحكم فيه حكيم، ووليه عمار، وتجرد في أمره ثلاثة نفر: عدى بن حاتم والاشتر النخعي، وعمرو بن الحمق، وجد في أمره رجلان وطلحة والزبير، وأبرأ الناس منه على. قال: ثم مه، قال: ثم تهافت الناس على علي بالبيعة تهافت الفراش، حتى ضاعت النعل وسقط الرداء، ووطئ الشيخ. ولم يذكر عثمان ولم يذكر له، ثم تهيا للمسير، وخف معه المهاجرون والانصار، وكره القتال معه ثلاثة نفر: سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر، ومحمد

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٨٦

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٩٣

بن مسلمة، فلم يستكره أحدا، واستغنى بمن خف معه عمن ثقل. ثم سار حتى أتى جبل طئ، فأتته منا جماعة كان ضاربا بهم الناس، حتى إذا كان ببعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، فسرح رجالا إلى الكوفة يدعونهم، فأجابوا دعوته، فسار إلى البصرة، فإذا هي في كفه، ثم قدم الكوفة فحمل إليه الصبى، ودبت إليه العجوز، وخرجت إليه العروس فرحا به وشوقا إليه، وتركته وليس له همة إلا الشام. فذعر معاوية من قوله، وقال حابس: أيها الامير، لقد أسمعني شعرا غير به حالى في عثمان، وعظم به عليا عندي فقال معاوية: أسمعنيه يا خفاف، فأنشده شعرا أوله:

قلت والليل ساقط الاكناف ... ولجنبي عن الفراش تجافي
قد مضى ما مضى ومر به الدهر كما مر ذاهب الأسلافِ
إننى والذى يحج له النا ... س على لحق البطون عجافَ
تتبارى مثل القسى من النبع بشعث مثل السهام نحاف
ارهب اليوم إن أتاكم عليٌّ ... صيحة مثل صيحة الاحقاف
إنه الليث غادياً وشجاع ... مطرق نافث بسم زعاف
واضع السيف فوق عاتقه الايمن يفرى به شئون القحاف
سوم الخيل ثم قال لقوم ... بايعوه إلى الطعان خفاف
استعدوا لحرب طاغية الشا ... م فلبوه كاليدين اللطاف
ثم قالوا أنت الجناح لك الريش القدامى ونحن منه الخوافي
فانظر اليوم قبل بادرة القو ... م بسلم تهم أم بخلاف

قال: فانكسر معاوية، وقال: يا حابس إنى لاظن هذا عينا لعلى، أخرجه عنك لئلا يفسد علينا أهل الشام[1].

٤٦- ويذكر أهل السير أن عليا (عليه السلام) هدم دار جرير ودور قوم ممن خرج معه، حيث فارق عليا (عليه السلام)، منهم أبو أراكة بن مالك بن عامر القسرى، كان ختنه على ابنته، وموضع داره بالكوفة كان يعرف بدار أبى أراكة قديما، ولعله اليوم نسى ذلك الاسم[2].

لا تلق نفسك إلى التهلكة

٤٧- كان فارس أهل الشام يوم صفين الذى لا ينازع عوف بن مجزأة المرادى، المكنى أبا أحمر، وكان فارس أهل الكوفة العكبر بن جدير الاسدي. فقام العكبر إلى علي (عليه السلام)، وكان منطيقا فقال يا أمير المؤمنين، إن في أيدينا عهدا من الله لا نحتاج فيه إلى الناس، قد ظننا بأهل الشام الصبر وظنوا بنا، فصبرنا وصبروا، وقد عجبت من صبر أهل الدنيا لاهل الاخرة، وصبر أهل الحق على أهل الباطل ورغبة أهل الدنيا ثم قرأت آية من كتاب الله فعلمت أنهم مفتونون: ﴿الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾. فقال له (عليه السلام) خيرا. وخرج الناس إلى مصافهم وخرج عوف ابن مجزأة المرادى نادرا من الناس، وكذا كان يصنع، وقد كان قتل نفرا من أهل العراق مبارزة، فنادى: يا أهل العراق، هل من رجل عصاه سيفه يبارزني ! ولا أغركم من نفسي ! أنا عوف بن مجزأة. فنادى الناس، بالعكبر، فخرج إليه منقطعا عن أصحابه ليبارزه، فقال عوف:

بالشام أمن ليس فيه خوف ... بالشام عدل ليس فيه حيف
بالشام جود ليس فيه سوف ... أنا ابن مجزاة واسمى عوف
هل من عراقى عصاه سيف ... يبرز لى وكيف لى وكيف !

فقال له العكبر:

الشام محل والعراق ممطر ... بها إمام طاهر مطهر
والشام فيها أعور ومعور ... أنا العراقى واسمى عكبر
ابن جدير وأبوه المنذر ... أدن، فإنى في البراز قسور

فتطاعنا، فصرعه العكبر وقتله، ومعاوية على التل في وجوه قريش ونفر قليل من الناس، فوجه العكبر فرسه، يملا فروجه ركضا، ويضربه بالسوط مسرعا نحو التل. فنظر معاوية إليه فقال: هذا الرجل مغلوب على عقله أو مستأمن، فاسألوه، فأتاه رجل وهو في حمو فرسه، فناداه فلم يجبه ومضى مبادرا، حتى انتهى إلى معاوية، فجعل يطعن في أعراض الخيل، ورجا أن ينفرد بمعاوية فيقتله، فاستقبله رجال، قتل منهم قوما، وحال الباقون بينه وبين معاوية بسيوفهم ورماحهم، فلما لم يصل إليه قال: أولى لك يا بن هند! أنا الغلام الاسدي ورجع إلى صف العراق ولم يكلم، فقال له علي (عليه السلام): ما دعاك إلى ما صنعت ؟ لا تلق نفسك إلى التهلكة، قال: يا أمير المؤمنين، أردت غرة ابن هند فحيل بينى وبينه، وكان العكبر شاعرا فقال:

قتلت المرادى الذى كان باغيا ... ينادى وقد ثار العجاج نزال
يقول أنا عوف بن مجزاة والمنى ... لقاء ابن مجزاة بيوم قتال
فقلت له لما علا القوم صوته ... منيت بمشبوح اليدين طوال

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١١٢
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١١٥

فأوجرته في ملتقى الحرب صعدة
ملات بها رعبا صدور رجال
فغادرته يكبو صريعا لوجهه
ينوء مرارا في مكر مجال
وقدمت مهرى راكضا نحو صفهم
أصرفه في جريه بشمالي
أريد به التل الذى فوق رأسه
معاوية الجاني لكل خبال
فقام رجال دونه بسيوفهم
وقام رجال دونه بعوالي
فلو نلته نلت التى ليس بعدها
وفزت بذكر صالح وفعال
ولو مت في نيل المنى ألف موتة
لقلت إذا ما مت: لست أبالى

قال: فانكسر أهل الشام لقتل عوف المرادى، وهدر معاوية دم العكبر، فقال العكبر: يد الله فوق يده، فأين الله جل جلاله ودفاعه عن المؤمنين[1].

فاذهبي فاجلسي على ذيلك

٤٨- جاءت امرأة من بني عبس إلى علي (عليه السلام)، وهو يخطب بهذه الخطبة على منبر الكوفة، فقالت: يا أمير المؤمنين، ثلاث بلبلن القلوب عليك، قال: وما هن ويحك ! قالت: رضاك بالقضية، وأخذك بالدنية، وجزعك عند البلية. فقال: إنما أنت امرأة، فاذهبي فاجلسي على ذيلك، فقالت: لا والله ما من جلوس إلا تحت ظلال السيوف[2].

ما إخالكم تدركون القوم حتى ينقضي أمرهم

٤٩- عن حبيب بن عبد الله، قال: والله إني لعند علي جالس إذ جاءه عبد الله بن معين وكعب بن عبد الله من قبل محمد بن أبي بكر يستصرخانه قبل الوقعة، فقام على فنادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فصلى عليه، ثم قال: أما بعد، فهذا صريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر، قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله وعدو من والاه، وولي من عادى الله، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم، والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعا على باطلهم وضلالتهم منكم على حقكم. فكأنكم بهم وقد بدءوكم وإخوانكم بالغزو، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر عباد الله، إن مصر أعظم من الشام وخير أهلا، فلا تغلبوا على مصر، فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم، وكبت لعدوكم، اخرجوا إلى الجرعة - قال: والجرعة بين الحيرة والكوفة - لنتوافى هناك كلنا غدا إن شاء الله. قال: فلما كان الغد، خرج يمشى، فنزلها بكرة، فأقام بها حتى انتصف النهار، فلم يوافه مائة رجل، فرجع. فلما كان العشى بعث إلى الاشراف فجمعهم، فدخلوا عليه القصر، وهو كئيب حزين، فقال: الحمد لله على ما قضى من أمر، وقدر من فعل، وابتلاني بكم أيها الفرقة التى لا تطيع إذا أمرتها، ولا تجيب إذا دعوتها. لا أبا لغيركم ! ماذا تنتظرون بنصركم، والجهاد على حقكم ! الموت خير من الذل في هذه الدنيا لغير الحق، والله إن جاءني الموت - وليأتيني - لتجدنني لصحبتكم جد قال. ألا دين يجمعكم ! ألا حمية تغضبكم ! ألا تسمعون بعدوكم ينتقص بلادكم ويشن الغارة عليكم ! أو ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفاة الطغام الظلمة فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة، ويجيبونه في السنة المرة والمرتين والثلاث، إلى أي وجه شاء، ثم أنا أدعوكم - وأنتم أولوا النهى وبقية الناس - تختلفون وتفترقون عني، وتعصونني وتخالفون علي! فقام إليه مالك بن كعب الارحبي، فقال: يا أمير المؤمنين، اندب الناس معى، فإنه لا عطر بعد عروس، وإن الاجر لا يأتي إلا بالكره. ثم التفت إلى الناس وقال: اتقوا الله، وأجيبوا دعوة إمامكم، وانصروا دعوتة، وقاتلوا عدوكم، إنا نسير إليهم يا أمير المؤمنين. فأمر علي سعدا مولاه أن ينادي: ألا سيروا مع مالك بن كعب إلى مصر، وكان وجها مكروها فلم يجتمعوا إليه شهرا، فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالك ابن كعب، فعسكر بظاهر الكوفة، وخرج معه علي، فنظر فإذا جميع من خرج نحو من ألفين، فقال علي: سيروا، والله ما أنتم ! ما إخالكم تدركون القوم حتى ينقضي أمرهم. فخرج مالك بهم وسار خمس ليال، وقدم الحجاج بن غزية الانصاري على علي، وقدم عليه عبد الرحمن بن المسيب الفزارى من الشام، فأما الفزاري، فكان عينا لعلي (عليه السلام)، لا ينام، وأما الانصاري فكان مع محمد بن أبى بكر، فحدثه الانصاري بما عاين وشاهد، وأخبره بهلاك محمد، وأخبره الفزارى أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشرى من قبل عمرو بن العاص، يتبع بعضها بعضا بفتح مصر، وقتل محمد بن أبى بكر، وحتى أذن معاوية بقتله على المنبر وقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت يوما قط سرورا مثل سرور رأيته بالشام حين أتاهم قتل محمد بن أبى بكر، فقال علي: أما إن حزننا على قتله، على قدر سرورهم به، لا بل يزيد أضعافا. قال: فسرح علي عبد الرحمن بن شريح إلى مالك بن كعب، فرده من الطريق. قال: وحزن علي على محمد بن أبى بكر حتى رئي ذلك فيه، وتبين في وجهه، وقام في الناس خطيبا، فحمد الله. وأثنى عليه، ثم قال: ألا وإن مصر قد افتتحها الفجرة اولياء الجور والظلم، الذين صدوا عن سبيل الله، وبغوا الاسلام عوجا. ألا وإن محمد ابن أبى بكر قد استشهد رحمة الله عليه، وعند

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٨٨
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٩٥

الله نحتسبه. أما والله لقد كان ما علمت ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب سمت المؤمن، إني والله لا ألوم نفسي على تقصير ولا عجز، وإني بمقاساة الحرب لجد بصير، إني لاقدم على الحرب، وأعرف وجه الحزم، وأقوم بالرأى المصيب، فأستصرخكم معلنا، وأناديكم مستغيثا، فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي أمرا، حتى تصير الامور إلى عواقب المساءة. وأنتم القوم لا يدرك بكم الثار، ولا تنقض بكم الاوتار، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة، فجرجرتم عليّ جرجرة الجمل الاسر، وتثاقلتم إلى الارض تثاقل من لا نية له في الجهاد، ولا رأي له في الاكتساب للاجر، ثم خرج إلي منكم جنيد متذائب ضعيف، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. فأف لكم ! ثم نزل فدخل رحله[1].

حتى ربطوا الطنب برجله

٥٠- وردت ربيعة الكوفة، وعليها زياد بن خصفة على عبيد الله بن عمر ذلك اليوم، وكان معاوية قد أقرع بين الناس، فخرج سهم عبيد الله بن عمر على ربيعة فقتلته، فلما ضرب فسطاط زياد بن خصفة بقى طنب من الاطناب لم يجدوا له وتدا فشدوه برجل عبيد الله بن عمر، وكان ناحية فجروه، حتى ربطوا الطنب برجله، وأقبلت امرأتاه حتى وقفتا عليه، فبكتا عليه، وصاحتا، فخرج زياد بن خصفة فقيل له: هذه بحرية ابنة هانئ بن قبيصة الشيباني ابنة عمك، فقال لها: ما حاجتك يا ابنة أخى ! قالت: تدفع زوجي إلى، فقال: نعم خذيه، فجئ ببغل فحملته عليه، فذكروا أن يديه ورجليه خطتا بالارض عن ظهر البغل[2].

خطبة علي بعد يوم النهروان

٥١- المدائني في كتاب (صفين)، قال: خطب علي (عليه السلام) بعد انقضاء أمر النهروان، فذكر طرفا من الملاحم، قال: إذا كثرت فيكم الاخلاط واستولت الانباط دنا خراب العراق، ذاك إذا بنيت مدينة ذات أثل وأنهار. فإذا غلت فيها الاسعار، وشيد فيها البنيان، وحكم فيها الفساق، وأشتد البلاء، وتفاخر الغوغاء، دنا خسوف البيداء، وطاب الهرب والجلاء. وستكون قبل الجلاء أمور يشيب منها الصغير، ويعطب الكبير، ويخرس الفصيح ويبهت اللبيب، يعاجلون بالسيف صلتا، وقد كانوا قبل ذلك في غضارة من عيشهم يمرحون. فيالها مصيبة حينئذ ! من البلاء العقيم، والبكاء الطويل، والويل والعويل، وشدة الصريخ، في ذلك أمر الله - وهو كائن، وقتا - مريج فيابن حرة الاماء، متى تنتظر ! أبشر بنصر قريب من رب رحيم. ألا فويل للمتكبرين، عند حصاد الحاصدين، وقتل الفاسقين. عصاة ذى العرش العظيم، فبأبي وأمي من عدة قليلة !

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٨٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٣٥

أسماؤهم في الارض مجهولة، قد دان حينئذ ظهورهم، ولو شئت لاخبرتكم بما يأتي ويكون من حوادث دهركم ونوائب زمانكم، وبلايا أيامكم، وغمرات ساعاتكم، ولكنه أفضيه إلى من أفضيه إليه، مخافة عليكم، ونظرا لكم، علما منى بما هو كائن وما يكون من البلاء الشامل، ذلك عند تمرد الاشرار، وطاعة أولي الخسار. ذاك أوان الحتف والدمار، ذاك إدبار أمركم، وانقطاع أصلكم، وتشتت ألفتكم، وإنما يكون ذلك عند ظهور العصيان، وانتشار الفسوق، حيث يكون الضرب بالسيف أهون على المؤمنين من اكتساب درهم حلال، حين لا تنال المعيشة إلا بمعصية الله في سمائه، حين تسكرون من غير شراب، وتحلفون من غير اضطرار، وتظلمون من غير منفعة، وتكذبون من غير إحراج. تتفكهون بالفسوق، وتبادرون بالمعصية. قولكم البهتان، وحديثكم الزور، وأعمالكم الغرور، فعند ذلك لا تأمنون البيات، فيا له من بيات ما أشد ظلمته ! ومن صائح ما أفظع صوته ! ذلك بيات لا ينمى صاحبه، فعند ذلك تقتلون، وبأنواع البلاء تضربون، وبالسيف تحصدون، وإلى النار تصيرون، ويعضكم البلاء كما يعض الغارب القتب. يا عجبا كل العجب، بين جمادى ورجب ! من جمع أشتات، وحصد نبات، ومن أصواب بعدها أصوات ثم قال: سبق القضاء سبق القضاء.

قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنه كاذب على الله ورسوله ! قال الكوفي: وما يدريك ؟ قال: فوالله ما نزل علي من المنبر حتى فلج الرجل، فحمل إلى منزله في شق محمل، فمات من ليلته[3].

الفصل الثالث

الحالة الاجتماعية في الكوفة

وزن النبق في الكوفة

٥٢- إن بعض العلوية قال في حضرة عضد الدولة ببغداد: عندنا في الكوفة نبق وزن كل نبقة مثقالان. فاستطرف الملك ذلك، وكاد يكذبه الحاضرون، فلما قام ذكر ذلك لابيه، فأرسل حماما كان عنده في الحال إلى الكوفة يأمر وكلاءه بإرسال مائة حمامة، في رجلى كل واحدة نبقتان من ذلك النبق، فجاء النبق في بكرة الغد وحمل إلى عضد الدولة، فاستحسنه وصدقه حينئذ، ثم قال له لعمري لقد صدقت، ولكن لا تحدث فيما بعد بكل ما رأيت من الغرائب، فليس كل وقت يتهيأ لك إرسال الحمام[4].

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١٣٤

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٤٥

وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة

٥٣- وقلت لمتكلم من متكلمي الامامية يعرف بعلي بن تقي من بلدة النيل: وهل كانت فدك إلا نخلا يسيرا وعقارا ليس بذلك الخطير ! فقال لي: ليس الامر كذلك بل كانت جليلة جدا وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الان من النخل وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألا يتقوى علي بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة ولهذا أتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس، فإن الفقير الذى لا مال له تضعف همته ويتصاغر عند نفسه ويكون مشغولا بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرياسة[١]!

كفر بالله كفرة أصلع

٥٤- روى عبد الرحمن بن جندب، قال: قال أبو بردة لزياد: أشهد أن حجر بن عدي قد كفر بالله كفرة أصلع، قال عبد الرحمن: إنما عنى بذلك نسبة الكفر إلى علي ابن أبى طالب (عليه السلام)، لانه كان أصلع[٢].

كويفة بن عمر

٥٥- روى أن المسلمين لما قال عثمان: إنى قد عفوت عن عبيد الله بن عمر، قالوا: ليس لك أن تعفو عنه، قال: بلى إنه ليس لجفينة والهرمزان قرابة من أهل الاسلام، وأنا ولي أمر المسلمين، وأنا أولى بهما، وقد عفوت، فقال علي (عليه السلام): إنه ليس كما تقول، إنما أنت في أمرهما بمنزلة أقصى المسلمين، إنه قتلهما في إمرة غيرك، وقد حكم الوالى الذى قتلا في إمارته بقتله، ولو كان قتلهما في إمارتك لم يكن لك العفو عنه، فاتق الله، فإن الله سائلك عن هذا ! فلما رأى عثمان أن المسلمين قد أبوا إلا قتل عبيد الله، أمره فارتحل إلى الكوفة، وأقطعه بها دارا وأرضا، وهى التى يقال لها: كويفة بن عمر، فعظم ذلك عند المسلمين وأكبروه، وكثر كلامهم فيه[٣].

فلما صار بدير هند نظر إلى الكوفة

٥٦- لما كان عام الصلح، أقام الحسن (عليه السلام) بالكوفة أياما، ثم تجهز للشخوص إلى المدينة، فدخل عليه المسيب بن نجبة الفزاري وظبيان بن عمارة التيمي ليودعاه، فقال الحسن: الحمد لله الغالب على أمره، لو أجمع الخلق جميعا على ألا يكون ما هو كائن ما استطاعوا. فقال أخوه الحسين (عليه السلام): لقد كنت كارها لما كان طيب النفس على سبيل أبي حتى عزم علي أخي، فأطعته، وكأنما يجذ أنفي بالمواسي، فقال المسيب: إنه والله ما يكبر علينا هذا الامر إلا أن تضاموا وتنتقصوا، فإما نحن، فإنهم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه، فقال الحسين: يا مسيب، نحن نعلم أنك تحبنا، فقال الحسن (عليه السلام): سمعت أبى يقول: سمعت رسوالله (صلى الله عليه وآله) يقول: من أحب قوما كان معهم ، فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع، فقال: ليس لي إلى ذلك سبيل، فلما كان من غد خرج، فلما صار بدير هند نظر إلى الكوفة، وقال،

ولا عن قلى فارقت دار معاشري
هم المانعون حوزتي وذماري

ثم سار إلى المدينة[٤].

هممت أن أبعث إلى الكوفة من ينقض منازلها

٥٧- فأما ما هم به الملوك وأرباب السلطان فيها من السوء، ودفاع الله تعالى عنها، فكثير. قال المنصور لجعفر بن محمد (عليهما السلام): إنى قد هممت أن أبعث إلى الكوفة من ينقض منازلها، ويجمر نخلها، ويستصفي أموالها، ويقتل أهل الريبة منها، فأشر علىّ. فقال: يا أمير المؤمنين، إن المرء ليقتدي بسلفه، ولك أسلاف ثلاثة: سليمان أعطي فشكر، وأيوب ابتلي فصبر، ويوسف قدر فغفر، فاقتد بأيهم شئت. فصمت قليلا، ثم قال: قد غفرت[٥].

مسيلمة قبل أن يتنبأ يدور في الحيرة

٥٨- وقال الجاحظ: كان مسيلمة قبل أن يتنبأ يدور في الأسواق التى كانت بين دور العرب والعجم كسوق الابلة وسوق بقة وسوق الانبار وسوق الحيرة يلتمس تعلم الحيل والنيرنجيات واحتيالات أصحاب الرقى والعزائم و النجوم، وقد كان أحكم علم الحزاة وأصحاب الزجر والخط فعمد إلى بيضة فصب إليها خلا حاذقا قاطعا، فلانت، حتى إذا مدها الانسان استطالت ودقت كالعلك، ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس وتركها حتى انضمت واستدارت وجمدت، فعادت كهيئتها الاولى، فأخرجها إلى قوم وهم أعراب واستغواهم بها، وفيه قيل ببيضة قارور وراية شادن وتوصيل مقطوع من الطير حاذق قالوا: أراد برايه الشادن التى يعملها الصبي من القرطاس الرقيق، ويجعل لها ذنبا وجناحين ويرسلها يوم الريح بخيط طويل. كان مسيلمة يعمل رايات من هذا الجنس، ويعلق فيها الجلاجل، ويرسلها ليلا في شدة الريح، ويقول هذه الملائكة تنزل على وهذه خشخشة الملائكة وزجلها، وكان يصل جناح الطير المقصوص بريش معه فيطير ويستغوي به الاعراب[٦].

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٣٦
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٩
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٦١
(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٦
(٥) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٩٨
(٦) شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٣٧٩

حسن الثناء وطيب الأحدوثة

٥٩- حكى الجاحظ عن إبراهيم السندي، قال: قلت في أيام ولايتى الكوفة لرجل من وجوهها - كان لا يجف لبده ولا يستريح قلمه، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الناس، وإدخال السرور على قلوبهم، والمرافق على ضعفائهم، وكان عفيف الطعمة. خبرني عما هون عليك النصب، وقواك على التعب ؟ فقال: قد والله سمعت غناء الاطيار بالاسحار على أغصان الاشجار، وسمعت خفق الاوتار، وتجاوب العود والمزمار، فما طربت من صوت قط طربي من ثناء حسن، على رجل محسن، فقلت: لله أبوك ! فلقد ملئت كرما[١].

فتصير الدار كلها لى

٦٠- من حمقى بني عجل حسان بن الغضبان من أهل الكوفة، ورث نصف دار أبيه، فقال: أريد أن ابيع حصتي من الدار. وأشتري بالثمن النصف الباقي، فتصير الدار كلها لى[٢].

مدح وذم

٦١- ما أحسن قول أبي العيناء، وقد قال له المتوكل: إلى متى تمدح الناس وتهجوهم ! فقال: ما أحسنوا وأساءوا. وهذا أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو سيد البشر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يمدح الكوفة وأهلها عقيب الانتصار على أصحاب الجمل، بما قد ذكرنا بعضه، وسنذكر باقيه، مدحا ليس باليسير ولا بالمستصغر، ويقول للكوفة عند نظره إليها: أهلا بك وبأهلك ! ما أرادك جبار بكيد إلا قصمه الله. ويثني عليها وعلى أهلها حسب ذمه للبصرة وعيبه لها ودعائه عليها وعلى أهلها، فلما خذله أهل الكوفة يوم التحكيم، وتقاعدوا عن نصره على أهل الشام، وخرج منهم الخوارج، ومرق منهم المراق، ثم استنفرهم بعد فلم ينفروا، واستصرخهم فلم يصرخوا، ورأى منهم دلائل الوهن، وإمارات الفشل، انقلب ذلك المدح ذما، وذلك الثناء استزادة وتقريعا وتهجينا[٣].

لا ولكن على أعضاد الابل

٦٢- قال الزبير: وكان يزيد بن المغيرة بن عبد الرحمن يطاف به بالكوفة على العجل، وكان ينحر في كل يوم جزورا، وفي كل جمعة جزورين و. رأى يوما إحدى جفناته مكللة بالسنام تكليلا حسنا، فأعجبه، فسأل فقال: من كللها ؟ قيل: اليسع ابنك، فسر، وأعطاه ستين دينارا. ومر إبراهيم بن هشام على بردة المغيرة وقد أشرقت على الجفنة، فقال لعبد من عبيد المغيرة: يا غلام، على أي شئ نصبتم هذا الثريد على العمد ؟ قال: لا ولكن على أعضاد الابل، فبلغ ذلك المغيرة، فأعتق ذلك الغلام[٤].

فما بالنا أشقى الخلق ! بك

٦٣- والمغيرة بن عبد الرحمن هو الذى مر بحرة الاعراب فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا هاشم، قد فاض معروفك على الناس، فما بالنا أشقى الخلق بك؟ قال: إنه لا مال معي، ولكن خذوا هذا الغلام فهو لكم، فأخذوه، فبكى الغلام فقال: يا مولاى، خدمتي وحرمتي ! فقال: أتبيعوني إياه ؟ قالوا: نعم فاشتراه منهم بمال ثم أعتقه، وقال له: والله لا أعرضك لمثلها أبدا اذهب فأنت حر، فلما عاد إلى الكوفة حمل ذلك المال إليهم[٥].

صفات القبائل العربية

٦٤- وروى علي بن سليمان الاخفش، قال: خرج المغيرة بن شعبة وهو يومئذ على الكوفة ومعه الهيثم بن التيهان النخعي غب مطر يسير في ظهر الكوفة والنجف فلقى ابن لسان الحمرة أحد بنى تيم الله بن ثعلبة، وهو لا يعرف المغيرة ولا يعرفه المغيرة، فقال له: من أين أقبلت يا أعرابي، قال: من السماوة قال: كيف تركت الارض خلفك ؟ قال: عريضة أريضة، قال: فكيف كان المطر؟ قال: عفى الاثر وملا الحفر، قال: فمن أنت ؟ قال: من بكر بن وائل، قال: كيف علمك بهم ؟ قال: إن جهلتهم لم أعرف غيرهم، قال: فما تقول في بنى شيبان ؟ قال: سادتنا وسادة غيرنا قال فما تقول في بنى ذهل ؟ قال: سادة نوكى، قال: فقيس بن ثعلبة ؟ قال: إن جاورتهم سرقوك وإن ائتمنتهم خانوك، قال: فبنو تيم الله بن ثعلبه ؟ قال: رعاء النقد وعراقيب الكلاب، قال: فبنى يشكر ؟ قال: صريح تحسبه مولى. قال هشام بن الكلبى: لان في ألوانهم حمرة، قال: فعجل ؟ قال: أحلاس الخيل، قال: فعبد القيس ؟ قال: يطعمون الطعام ويضربون الهام، قال: فعنزة ؟ قال: لا تلتقي بهم الشفتان لؤما، قال: فضبيعة أضجم ؟ قال: جدعا وعقرا! قال: فاخبرني عن النساء، قال: النساء أربع: ربيع مربع وجميع مجمع وشيطان سمعمع وغل لا يخلع، قال: فسر، قال: أما الربيع المربع، فالتى إذا نظرت إليها سرتك وإذا أقسمت عليها برتك، وأما التى هي جميع مجمع، فالمرأة تتزوجها ولها نسب فيجتمع نسبها إلى نسبك وأما الشيطان السمعمع فالكالحة في وجهك إذا دخلت المولولة في أثرك إذا خرجت وأما الغل الذى لا يخلع فبنت عمك السوداء القصيرة الفوهاء الدميمة التى قد نثرت لك بطنها إن طلقتها ضاع ولدك وإن أمسكتها فعلى جدع انفك، قال المغيرة بل أنفك. قال: فما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة ؟ قال: أعور زان، فقال: الهيثم بن الاسود: فض الله فاك ! ويلك إنه الامير المغيرة ! قال:

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٢٨
(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٥٩
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٩٦
(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٣٠٢
(٥) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٣٠٢

إنها كلمة تقال فانطلق به المغيرة إلى منزله وعنده يومئذ أربع نسوة وستون - أو سبعون - أمة وقال: ويحك ! هل يزنى الحر وعنده مثل هؤلاء ! ثم قال لهن: ارمين إليه بحليكن ففعلن، فخرج بملء كسائه ذهبا وفضة[1].

من أشعر الناس

٦٥- مر لبيد بالكوفة في بني نهد، فاتبعوه رسولاً يسأله: من أشعر الناس ؟ فقال: الملك الضليل. فأعادوه إليه، فقال: ثم من ؟ فقال: الغلام القتيل - يعنى طرفة بن العبد - وقال: غير إبان: قال: ثم ابن العشرين، قال: ثم من ؟ قال: الشيخ أبو عقيل يعني نفسه[2].

الفصل الرابع
أخبار رجال الكوفة

سليمان بن صرد الخزاعى

٦٦- دخل سليمان بن صرد الخزاعى على علي (عليه السلام)، مرجعه من البصرة، فعاتبه وعذله، وقال له: ارتبت وتربصت وراوغت، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي، وأسرعهم فيما أظن إلى نصرتي، فما قعد بك عن أهل بيت نبيك ؟ وما زهدك في نصرتهم ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا تردن الامور على أعقابها، ولا تؤنبنى بما مضى منها، واستبق مودتي تخلص لك نصيحتي، فقد بقيت أمور تعرف فيها عدوك من وليك. فسكت عنه، وجلس سليمان قليلا، ثم نهض، فخرج إلى الحسن بن علي (عليه السلام)، وهو قاعد في باب المسجد، فقال: ألا أعجبك من أمير المؤمنين، وما لقيت منه من التوبيخ والتبكيت ؟ فقال الحسن: إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته، فقال: لقد وثبت أمور ستشرع فيها القنا، وتنتضى فيها السيوف، ويحتاج فيها إلى اشباهي، فلا تستغشوا عتبي، ولا تتهموا نصحي. فقال الحسن: رحمك الله، ما أنت عندنا بظنين. ودخل عليه سعيد بن قيس الازدي، فسلم عليه، فقال: وعليك السلام وإن كنت من المتربصين ! قال: حاش لله يا أمير المؤمنين ! فإنى لست من أولئك. فقال: لعل الله فعل ذلك[3].

بلال بن أبى بردة

٦٧- عن أبى عبيده، قال: أمر بلال بن أبى بردة وكان قاضيا، بتفريق بين رجل وامرأته، فقال الرجل: يا آل أبى موسى، إنما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين[4]!

زيد بن علي

٦٨- ممن تقبل مذاهب الاسلاف في إباء الضيم وكراهية الذل، واختار القتل على ذلك وأن يموت كريما، أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب (عليه السلام)، أمه أم ولد، وكان السبب في خروجه وخلعه طاعة بني مروان، أنه كان يخاصم عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في صدقات علي (عليه السلام)، هذا يخاصم عن بني حسين، وهذا عن بني حسن، فتنازعا يوما عند خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم أمير المدينة، فأغلظ كل واحد منهما لصاحبه، فسر خالد بن عبد الملك بذلك، وأعجبه سبابهما، وقال لهما حين سكنا: اغدوا علي، فلست بابن عبد الملك إن لم أفصل بينكما غدا، فباتت المدينة تغلي كالمرجل، فمن قائل يقول: قال زيد كذا، وقائل يقول: قال عبد الله كذا، فلما كان الغد جلس خالد في المسجد، وجمع الناس، فمن بين شامت، ومغموم، ودعا بهما وهو يحب أن يتشاتما، فذهب عبد الله يتكلم، فقال زيد: لا تعجل يا أبا محمد، أعتق زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبدا، ثم أقبل على خالد، فقال له: أجمعت ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) لامر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر، فقال خالد: أما لهذا السفيه أحد يكلمه ! فتكلم رجل من الانصار من آل عمرو بن حزم، فقال: يا بن أبي تراب، ويا بن حسين السفيه ! أما ترى عليك لوال حقا ولا طاعة ! فقال زيد: اسكت أيها القحطاني، فإنا لا نجيب مثلك، فقال الانصاري: ولم ترغب عني! فو الله إنى لخير منك، وأبي خير من أبيك، وأمي خير من أمك! فتضاحك زيد، وقال: يا معشر قريش، هذا الدين قد ذهب، أفذهبت الاحساب ! فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال: كذبت أيها القحطاني، والله لهو خير منك نفسا وأبا وأما ومحتدا، وتناوله بكلام كثير، وأخذ كفا من الحصا، فضرب به الارض، وقال: إنه والله ما لنا على هذا من صبر، وقام. فقام زيد أيضا، وشخص من فوره إلى هشام بن عبد الملك، فجعل هشام لا يأذن له وزيد يرفع إليه القصص، وكلما رفع إليه قصة كتب هشام في أسفلها: ارجع إلى أرضك، فيقول زيد: والله لا أرجع إلى ابن الحارث أبدا. ثم أذن له بعد حبس طويل وهشام في علية له، فرقى زيد إليها، وقد أمر هشام خادما له أن يتبعه حيث لا يراه زيد، ويسمع ما يقول. فصعد زيد - وكان بادنا - فوقف في بعض الدرجة، فسمعه الخادم، وهو يقول: ما أحبَّ الحياة إلا مَنْ ذل! فأخبر الخادم هشاما بذلك، فلما قعد زيد بين يدى هشام وحدثه حلف له على شئ، فقال هشام: لا أصدقك، فقال زيد: إن الله لا يرفع أحدا عن أن يرضى بالله، ولم يضع أحدا عن أن يرضى بذلك منه. قال له هشام: إنه بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها، ولست هناك !

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٤٠
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٦٠
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٥
(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٥٦

لانك ابن أمة، فقال زيد: إن لك جوابا، قال: تكلم، قال: إنه ليس أحد أولى بالله، ولا أرفع درجة عنده من نبي ابتعثه، وهو إسماعيل بن إبراهيم، وهو ابن أمة، قد اختاره الله لنبوته، وأخرج منه خير البشر، فقال هشام: فما يصنع أخوك البقرة ! فغضب زيد، حتى كاد يخرج من إهابه، ثم قال: سماه رسول الله (صلى الله عليه وآله) الباقر وتسميه أنت البقرة ! لشد ما اختلفتما ! لتخالفنه في الاخرة، كما خالفته في الدنيا، فيرد الجنة، وترد النار. فقال هشام: خذوا بيد هذا الاحمق المائق، فأخرجوه، فأخذ الغلمان بيده فأقاموه، فقال هشام: احملوا هذا الخائن الاهوج إلى عامله، فقال زيد: والله لئن حملتني إليه لا أجتمع أنا وأنت حيين، وليموتن الاعجل منا. فأخرج زيد وأشخص إلى المدينة، ومعه نفر يسيرونه حتى طردوه عن حدود الشام، فلما فارقوه عدل إلى العراق، ودخل الكوفة، وبايع لنفسه، فأعطاه البيعة أكثر أهلها، والعامل عليها وعلى العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي، فكان بينهما من الحرب ما هو مذكور في كتب التواريخ. وخذل أهل الكوفة زيدا، وتخلف معه ممن تابعه نفر يسير، وأبلى بنفسه بلاء حسنا وجهادا عظيما، حتى أتاه سهم غرب، فأصاب جانب جبهته اليسرى، فثبت في دماغه فحين نزع منه مات (عليه السلام)[1].

جرير والأشعث يحشران وإمامهما ضب

٦٩- روى يحيى بن عيسى الرملي، عن الاعمش: أن جريرا والاشعث خرجا إلى جبان الكوفة، فمر بهما ضب يعدو، وهما في ذم علي (عليه السلام)، فناداياه: يا أبا حسل، هلم يدك نبايعك بالخلافة، فبلغ عليا (عليه السلام) قولهما، فقال: أما إنهما يحشران يوم القيامة وإمامهما ضب[2].

الحرقة بنت النعمان بن المنذر

٧٠- لما فتح خالد بن الوليد عين التمر سأل عن الحرقة بنت النعمان بن المنذر فدُلَّ عليها فأتاها - وكانت عمياء - فسألها عن حالها، فقالت: لقد طلعت علينا الشمس ما شيء يدب تحت الخورنق إلا تحت أيدينا ثم غربت وقد رحمنا كل من يدور به، وما بيت دخلته حبرة، الا دخلته عبرة، ثم قالت:

وبينا نسوس الناس والامر امرنا ... إذا نحن فيه سوقه نتنصف

فافٌّ لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف

فقال قائل ممن كان حول خالد: قاتل الله عدى بن زيد! لكانه ينظر إليها حين يقول:

إن للدهر صرعة فاحذرنها ... لا تبيتن قدامنت الدهورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى ... ولقد كان آمنا مسرورا[3].

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٨٥
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٥
(٣) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٧٠

ولكن أردت أن تتشرف بي في محافل العرب

٧١- وكان المغيرة بن شعبة، وهو والي الكوفة صار إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر، وهي فيه عمياء مترهبة، فاستأذن عليها، فقيل لها: أمير هذه المدرة بالباب. قالت: قولوا له: من ولد جبلة بن الايهم أنت ؟ قال: لا، قالت: أفمن ولد المنذر بن ماء السماء أنت ؟ قال: لا، قالت: فمن أنت ؟ قال: أنا المغيرة بن شعبة الثقفي، قالت: فما حاجتك ؟ قال: جئت خاطبا، قالت: لو كنت جئتني لجمال أو حال لاطلبنك، ولكن أردت أن تتشرف بي في محافل العرب، فتقول: نكحت ابنة النعمان بن المنذر، وإلا فأي خير في اجتماع أعور وعمياء ! فبعث إليها: كيف كان أمركم ؟ قالت: سأختصر لك الجواب، أمسينا وليس في الارض عربي إلا وهو يرهبنا أو يرغب إلينا، وأصبحنا ليس في الارض عربي إلا ونحن نرهبه ونرغب إليه. قال: فما كان أبوك يقول في ثقيف ؟ قالت: أذكر: وقد اختصم إليه رجلان منهم، أحدهما ينتهي إلى إياد، والاخر إلى هوازن، فقضى للايادي وقال:

إن ثقيفا لم تكن هوازنا ... ولم تناسب عامرا أو مازنا

فقال المغيرة أما نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ما شاء، ثم انصرف. وقال قوم آخرون: إن ثقيفا من بقايا ثمود، من العرب القديمة التي بادت وانقرضت[4].

فرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه أربعمائة

٧٢- وروى سعيد بن خالد الجدلي، قال: لما قدم عبد الملك الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس يعرضهم على قرائضهم، فحضرنا بين يديه، فقال: من القوم ؟ قلنا: جديلة، فقال جديلة عدوان ؟ قلنا: نعم، فأنشده:

عذير الحي من عدوان ... كانوا حية الارض

بغى بعضهم بعضا ... فلم يرعوا على بعض

ومنهم كانت السادات ... والموفون بالقرض

ومنهم حكم يقضى: فلا ينقض ما يقضى ... ومنهم من يجيز الناس

بالسنة والفرض

ثم أقبل على رجل منا وسيم جسيم قدمناه أمامنا، فقال: أيكم يقول هذا الشعر ؟ قال: لاأدري، فقلت أنا من خلفه: يقوله ذو الاصبع، فتركني وأقبل على ذلك الرجل الجسيم، فقال: ما

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٣٠٣

كان اسم ذى الاصبع ؟ قال: لاأدرى، فقلت أنا من خلفه: اسمه حرثان، فتركني وأقبل عليه، فقال له: ولم سمى ذالاصبع ؟ قال: لا أدرى، فقلت أنا من خلفه: نهشته حية في إصبعه، فأقبل عليه وتركني، فقال: من أيكم كان ؟ فقال: لا أدرى فقلت أنا من خلفه: من بنى تاج الذين يقول الشاعر فيهم:

فأمـــا بنـــو تـــاج فـــلا تـــذكرنهم

ولا تتـــبعن عينـــاك مـــن كـــان هالكـــا

فأقبل على الجسيم، فقال: كم عطاؤك ؟ قال: سبعمائة درهم، فأقبل علي، وقال: وكم عطاؤك أنت: قلت أربعمائه، فقال: يا أبا الزعيزعة، حط من عطاء هذا ثلثمائة، وزدها في عطاء هذا، فرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه أربعمائه[1].

إن قيساً طوالا أطول الناس

٧٣- إنّ قيسا وسهل بن حنيف، خرجا حتى قدما على علي الكوفة فخبره قيس الخبر وما كان بمصر فصدقه. وشهد مع علي صفين، هو وسهل بن حنيف قال إبراهيم: وكان قيس طوالا أطول الناس وأمدهم قامة، وكان سناطا أصلع شيخا شجاعا مجربا مناصحا لعلي ولولده، ولم يزل على ذلك إلى أن مات[2].

إن قتيلك هو المحدث

٧٤- وروى أبو العباس أيضا: أن عمرو بن معديكرب الزبيدى كان معروفا بالكذب، وقيل لخلف الاحمر - وكان مولى لهم وشديد التعصب لليمن: أكان عمرو بن معديكرب يكذب ؟ قال: يكذب في المقال ويصدق في الفعال قال أبو العباس: فروى لنا أن أهل الكوفة الاشراف، كانوا يظهرون بالكناسة، فيركبون على دوابهم حتى تطردهم الشمس، فوقف عمرو بن معديكرب الزبيدى، وخالد بن الصقعب النهدي - وعمرو لا يعرفه، إنما يسمع باسمه - فأقبل عمرويحدثه، فقال: أغرنا مرة على بنى نهد، فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب، فحملت عليه، فطعنته فأذريته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه، فقال خالد بن الصقعب: حلا أبا ثور، إن قتيلك هو المحدث، فقال عمرو: يا هذا إذا حدثت فاستمع، فإنما نتحدث بمثل ما تستمع لنرهب به هذه المعدية[3].

العجب كيف نجوت من زياد لم يقتلك

٧٥- قال إبراهيم بن هلال الثقفي: وذكر محمد بن مخنف أنه سمع الضحاك بن قيس بعد غارته على العراق ايام خلافة امير المؤمنين (عليه السلام) بزمان يخطب على منبر الكوفة، وقد كان بلغه أن قوماً من أهلها يشتمون عثمان ويبرؤون منه، فسمعته يقول: بلغني أن رجالا منكم ضلالا يشتمون أئمة الهدى، ويعيبون أسلافنا الصالحين، أما والذي ليس له ند ولا شريك، لئن لم تنتهوا عما يبلغني عنكم، لاضعن فيكم سيف زياد، ثم لا تجدونني ضعيف السورة، ولا كليل الشفرة. أما إني لصاحبكم الذي أغرت على بلادكم، فكنت أول من غزاها في الاسلام، وشرب من ماء الثعلبية ومن شاطئ الفرات، إعاقب من شئت، وأعفو عمن شئت، لقد ذعرت المخدرات في خدورهن، وإن كانت المرأة ليبكي ابنها فلا ترهبه ولا تسكته إلا بذكر اسمي. فاتقوا الله يا أهل العراق، أنا الضحاك بن قيس، أنا أبو أنيس، أنا قاتل عمرو بن عميس ! فقام إليه عبد الرحمن بن عبيد، فقال: صدق الامير وأحسن القول، ما أعرفنا والله بما ذكرت ! ولقد لقيناك بغربي تدمر، فوجدناك شجاعا مجربا صبورا. ثم جلس، وقال: أ يفخر علينا بما صنع ببلادنا أول ما قدم. وأيم الله لاذكرنه أبغض مواطنه إليه. قال: فسكت الضحاك قليلا، وكأنه خزي واستحيا، ثم قال: نعم كان ذلك اليوم ! فاخذه بكلام ثقيل، ثم نزل. قال محمد بن مخنف: فقلت لعبد الرحمن بن عبيد - أو قيل له: لقد اجترأت حين تذكره هذا اليوم، وتخبره أنك كنت فيمن لقيه ! فقال: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا. قال: وسأل الضحاك عبد الرحمن بن عبيد حين قدم الكوفة، فقال: لقد رأيت منكم بغربي تدمر رجلا ما كنت أرى أن في الناس مثله، حمل علينا، فما كذب حتى ضرب الكتيبة التي أنا فيها، فلما ذهب ليولي حملت عليه، فطعنته، فوقع ثم قام فلم يضره شيئا، ثم لم يلبث أن حمل علينا في الكتيبة التي أنا فيها، فصرع رجلا ثم ذهب لينصرف، فحملت عليه فضربته على رأسه بالسيف، فخيل إلي أن سيفي قد ثبت في عظم رأسه، فضربني، فو الله ما صنع سيفه شيئا، ثم ذهب فظننت إنه لن يعود، فو الله ما راعني إلا وقد عصب رأسه بعمامة، ثم أقبل نحونا فقلت: ثكلتك أمك ! أ ما نهتك الاوليان عن الاقدام علينا ؟ قال: إنهما لم تنهياني، إنما أحتسب هذا في سبيل الله. ثم حمل ليطعنني، فطعنته وحمل أصحابه علينا، فانفصلنا، وحال الليل بيننا، فقال له عبد الرحمن: هذا يوم شهده هذا - يعني ربيعة بن ماجد - وهو فارس الحي، وما أظنه يخفى أمر هذا الرجل، فقال له: أ تعرفه ؟ قال: نعم، قال: من هو ؟ قال: أنا، قال: فأرني الضربة التي برأسك، فأراه فإذا هي ضربة قد برت العظم منكرة، فقال له: فما رأيك اليوم ؟ أ هو كرأيك يومئذ ! قال: رأيي اليوم رأي الجماعة، قال: فما عليكم من بأس، أنتم آمنون ما لم تظهروا خلافا، ولكن العجب كيف نجوت من زياد لم يقتلك فيمن قتل، أو يسيرك فيمن سير ! فقال: أما التسيير فقد سيرني، وأما القتل فقد عافانا الله منه !

قال إبراهيم الثقفي: وأصاب الضحاك في هربه من حجر عطش شديد، وذلك لان الجمل الذي كان عليه ماؤه ضل فعطش،

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٩٤
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٦٤
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٥٧

وخفق برأسه خفقتين لنعاس أصابه، فترك الطريق وانتبه، وليس معه إلا نفر يسير من أصحابه، وليس منهم أحد معه ماء، فبعث رجالا منهم في جانب يلتمسون الماء ولا أنيس، فكان الضحاك بعد ذلك يحكي، قال: فرأيت جادة فلزمتها، فسمعت قائلا يقول:

دعاني الهوى فازددت شوقا وربما
دعاني الهوى من ساعة فأجيب
وأرقني بعد المنام وربما
أرقت لساري الهم حين يئوب
فإن أك قد أحببتكم ورأيتكم
فإني بداري عامر لغريب

قال: وأشرف علي رجل فقلت: يا عبد الله، أسقني ماء، فقال: لا والله، حتى تعطيني ثمنه، قلت: وما ثمنه ! قال: ديتك، قلت: أ ما ترى عليك من الحق أن تقري الضيف، فتطعمه وتسقيه ! قال: ربما فعلنا وربما بخلنا، قال: فقلت: والله ما أراك فعلت خيرا قط أسقني، قال: ما أطيق، قلت: فإني أحسن إليك وأكسوك، قال: لا والله لا أنقص شربة من مائة دينار، فقلت له: ويحك ! اسقني، فقال: ويحك ! أعطني، قلت: لا والله ما هي معي، ولكنك تسقيني، ثم تنطلق معي أعطيكها، قال: لا والله، قلت: اسقني وأرهنك فرسي حتى أوفيكها، قال: نعم، ثم خرج بين يدي واتبعته، فأشرفنا على أخبية وناس على ماء، فقال لي: مكانك حتى آتيك، فقلت: بل أجئ معك، قال: وساءه حيث رأيت الناس والماء، فذهب يشتد حتى دخل بيتا، ثم جاء بماء في إناء، فقال: اشرب، فقلت: لا حاجة لي فيه، ثم دنوت من القوم، فقلت: اسقوني ماء، فقال شيخ لابنته: اسقيه، فقامت ابنته فجاءت بماء ولبن، فقال ذلك الرجل: نجيتك من العطش، وتذهب بحقي ! والله لا أفارقك حتى أستوفي منك حقي، فقلت: إجلس حتى أوفيك. فجلس، فنزلت فأخذت الماء واللبن من يد الفتاة، فشربت واجتمع إلي أهل الماء، فقلت لهم: هذا ألام الناس ! فعل بي كذا وكذا ! وهذا الشيخ خير منه وأسدى، استسقيته فلم يكلمني وأمر ابنته فسقتني، وهو الآن يلزمني بمائة دينار. فشتمه أهل الحي، ووقعوا به، ولم يكن بأسرع من أن لحقني قوم من أصحابي، فسلموا علي بالامرة، فارتاب الرجل وجزع، وذهب يريد أن يقوم، فقلت: والله لا تبرح حتى أوفيك المائة، فجلس ما يدري ما الذي أريد به ! فلما كثر جندي عندي سرحت إلي ثقلي، فأتيت به، ثم أمرت بالرجل فجلد مائة جلده، ودعوت الشيخ وابنته فأمرت لهما بمائة دينار وكسوتهما، وكسوت أهل الماء ثوبا ثوبا، وحرمته. فقال: أهل الماء: كان أيها الامير أهلا لذلك، وكنت لما أتيت من خير أهلا. فلما رجعت إلى معاوية، وحدثته عجب، وقال: لقد رأيت في سفرك هذا عجبا[1].

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢٠

وأكبَّ على قيس حتى مسح يده على يده

٧٦- لما تم الصلح بين الحسن ومعاوية أرسل إلى قيس بن سعد يدعوه إلى البيعة، فجاءه وكان رجلا طوالا يركب الفرس المشرف ورجلاه تخطان في الارض، وما في وجهه طاقة شعر، وكان يسمى خصي الانصار. فلما أرادوا إدخاله إليه قال: إني حلفت ألا ألقاه إلا وبيني وبينه الرمح أو السيف، فأمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينه وبينه ليبر. قال أبو الفرج:

وقد روي أن الحسن لما صالح معاوية اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف فارس فأبى أن يبايع، فلما بايع الحسن أدخل قيس ليبايع، فأقبل على الحسن، فقال: أ في حل أنا من بيعتك ؟ فقال: نعم، فألقى له كرسى، وجلس معاوية على سرير والحسن معه، فقال له معاوية: أ تبايع يا قيس ؟ قال: نعم، ووضع يده على فخذه، ولم يمدها إلى معاوية، فجاء معاوية من سريره، وأكب على قيس حتى مسح يده على يده وما رفع إليه قيس يده[2].

خباب بن الأرتّ

٧٧- هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم، يكنى أبا عبد الله وقيل: أبا محمد وقيل: أبا يحيى - أصابه سبي فبيع بمكة. وكانت أمة ختانة،

وخباب من فقراء المسلمين وخيارهم، وكان به مرض،

وكان في الجاهلية قينا حدادا يعمل السيوف، فأصابه سبي فبيع بمكة، فاشترته أم أنمار بنت سباع الخزاعية.

وهو قديم الإسلام، قيل إنه كان سادس ستة، وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد، وهو معدود في المعذبين في الله.

سأله عمر بن الخطاب أيام خلافته: ما لقيت من أهل مكة؟ فقال: انظر إلى ظهرى، فنظر فقال: ما رأيت كاليوم ظهر رجل! فقال خباب: أوقدوا لي ناراً وسحبت عليها، فما أطفأها إلا ودك ظهري.

وجاء خباب إلى عمر، فجعل يقول ادنُ ادنُ ثم قال له: ما أحد أحق بهذا المجلس منك، إلا أن يكون عمار بن ياسر.

نزل خباب إلى الكوفة، ومات بها في سنة سبع وثلاثين، وقيل: سنة تسع وثلاثين، بعد أن شهد مع امير المؤمنين علي (عليه السلام) صفين ونهروان وصلى عليه علي (عليه السلام) وكانت سنه يوم مات ثلاثا وسبعين سنة،

ودفن بظهر الكوفة. وهو أول من دفن بظهر الكوفة، وعبد الله بن خباب هو الذى قتلته الخوارج، فاحتج علي (عليه السلام) به وطلبهم بدمه، وقد تقدم ذكر ذلك[3].

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٤٨
(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٧١

إن حريثا قد بلغ من الشرف مبلغاً لا تزيده الولاية

٧٨- كان حريث بن جابر يومئذ نازلا بين الصفين في قبة له حمراء، يسقي أهل العراق اللبن والماء والسويق، ويطعمهم اللحم والثريد، فمن شاء أكل، ومن شاء شرب، ففي ذلك يقول شاعرهم:

فلو كان بالدهنا حريث بن جابر

لاصبح بحرا بالمفازة جاريا

قلت: هذا حريث بن جابر، هو الذى كتب معاوية إلى زياد في أمره بعد عام الجماعة - وحريث عامل لزياد على همدان - أما بعد، فأعزل حريث بن جابر عن عمله، فما ذكرت مواقفه بصفين إلا كانت حزازة في صدري. فكتب إليه زياد: خفض عليك يا أمير المؤمنين، فإن حريثا قد بلغ من الشرف مبلغا لا تزيده الولاية، ولا ينقصه العزل[١].

معقل بن قيس

٧٩- معقل بن قيس، كان من رجال الكوفة وأبطالها، وله رياسة وقدم، أوفده عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب مع الهرمزان لفتح تستر وكان من شيعة علي (عليه السلام)، وجهه إلى بني ساقة فقتل منهم وسبى، وحارب المستورد بن علفة من تيم الرباب، فقتل كل واحد منهما صاحبه بدجلة، وقد ذكرنا خبرهما فيما سبق، ومعقل بن قيس رياحي من ولد رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم[٢].

فذاك أفخر له لو كنت تعلمه وتعقله !

٨٠- وروى الشرقي بن القطامي، قال: كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس شيعة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام): فلما قدم زياد الكوفة طلبه وأخافه، فاتى الحسن بن علي (عليه السلام) مستجيرا به، فوثب زياد على أخيه وولده وأمرأته فحبسهم وأخذ ماله، ونقض داره. فكتب الحسن بن علي (عليه السلام) الى زياد: أما بعد فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، فهدمت داره، وأخذت ماله، وحبست أهله وعياله، فإن أتاك كتابي هذا فابن له داره، وأردد عليه عياله وماله، وشفعني فيه، فقد أجرته. والسلام. فكتب إليه زياد: من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن بن فاطمة: أما بعد: فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي، وأنت طالب حاجة وأنا سلطان وأنت سوقة، وتأمرني فيه بأمر المطاع المسلط على رعيته. كتبت إلي في فاسق آويته. إقامة منك على سوء الرأي ورضا منك بذلك، وايم الله لا تسبقني به ولو كان بين جلدك، ولحمك وإن نلت بعضك غير رفيق بك ولا مرع عليك فإن، أحب لحم عليّ أن آكله للحم الذي أنت منه، فسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه، وإن قتله لم أقتله إلا لحبه أباك الفاسق. والسلام. فلما ورد الكتاب على الحسن (عليه السلام) قراه وتبسم، وكتب بذلك إلى معاوية، وجعل كتاب زياد عطفه، وبعث به إلى الشام، وكتب جواب كتابه كلمتين لا ثالثه لهما: من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سمية، أما بعد، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**الولد للفراش، وللعاهر الحجر**»، والسلام. فلما قرأ معاوية كتاب زياد إلى الحسن ضاقت به الشام، وكتب إلى زياد: أما بعد، فإن الحسن بن علي بعث إلي بكتابك إليه جوابا عن كتاب كتبه إليك في أبن سرح، فأكثرت العجب منك، وعلمت أن لك رأيين أحدهما من أبي سفيان، والاخر من سمية، فأما الذى من أبي سفيان فحلم وحزم وأما الذى من سمية، فما يكون من رأى مثلها ! من ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أباه، وتعرض له بالفسق، ولعمري إنك الاولى بالفسق من أبيه. فأما أن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا عليك، فإن ذلك لا يضعك لو عقلت، وأما تسلطه عليك بالامر فحق لمثل الحسن أن يتسلط، وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك، فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك. فإذا ورد عليك كتابي فخل ما في يديك لسعيد بن أبى سرح وابن له داره، واردد عليه ماله، ولا تعرض له، فقد كتبت إلى الحسن أن يخيره، إن شاء أقام عنده، وأن شاء رجع إلى بلده، ولا سلطان لك عليه لابيد ولا لسان. وأما كتابك إلى الحسن باسمه واسم أمه، ولا تنسبه إلى أبيه، فإن الحسن ويحك ! من يرمى به الرجوان وإلى أي أم وكلته لا أم لك ! أما علمت أنها فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فذاك أفخر له لو كنت تعلمه وتعقله ! وكتب في أسفل الكتاب شعرا من جملته:

أما حسن فابن الذى كان قبله

إذا سار سار الموت حيث يسير

وهل يلد الرئبال إلا نظيره

وذا حسن شبه له ونظير

ولكنه لو يوزن الحلم والحجا

بأمر لقالوا يذبل وثبير[٣].

خبر غريب حول هاني بن عروة

٨١- وفد أهل الكوفة على معاوية حين خطب لابنه يزيد بالعهد بعده، وفى أهل الكوفة هانئ بن عروة - المرادى وكان سيدا في قومه - فقال يوما في مسجد دمشق والناس حوله:

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٤٠

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٩٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٩٤

العجب لمعاوية يريد أن يقسرنا على بيعة يزيد، وحاله حاله، وما ذاك والله بكائن وكان في القوم غلام من قريش جالسا، فتحمل الكلمة إلى معاوية، فقال معاوية: أنت سمعت هانئا يقولها ؟ قال: نعم، قال: فاخرج فأت حلقته، فإذا خف الناس عنه فقل له: أيها الشيخ، قد وصلت كلمتك إلى معاوية، ولست في زمن أبي بكر وعمر، ولا أحب أن تتكلم بهذا الكلام فإنهم بنو أمية، وقد عرفت جرأتهم وإقدامهم، ولم يدعني إلى هذا القول لك إلا النصيحة والاشفاق عليك، فانظر ما يقول، فأتني به. فأقبل الفتى إلى مجلس هانئ، فلما خف من عنده دنا منه فقص عليه الكلام وأخرجه مخرج النصيحة له، فقال هانئ: والله يا بن أخي ما بلغت نصيحتك كل ما أسمع، وإن هذا الكلام لكلام معاوية أعرفه ! فقال الفتى: وما أنا ومعاوية ! والله ما يعرفني، قال: فلا عليك، إذا لقيته فقل له: يقول لك هانئ: والله ما إلى ذلك من سبيل، انهض يابن أخي راشدا ! فقام الفتى فدخل على معاوية فأعلمه، فقال: نستعين بالله عليه. ثم قال معاوية بعد أيام للوفد: ارفعوا حوائجكم - وهانئ فيهم - فعرض عليه كتابه فيه ذكر حوائجه، فقال: يا هانئ، ما أراك صنعت شيئا، زد فقام، هانئ فلم يدع حاجة عرضت له إلا وذكرها، ثم عرض عليه الكتاب فقال: أراك قصرت فيما طلبت، زد، فقام هانئ فلم يدع حاجة لقومه ولا لاهل مصره إلا ذكرها، ثم عرض عليه الكتاب، فقال: ما صنعت شيئا، زد، فقال: يا أمير المؤمنين، حاجة بقيت، قال: ما هي ؟ قال: أن أتولى أخذ البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين بالعراق، قال: افعل، فما زلت لمثل ذلك أهلا، فلما قدم هانئ العراق قام بأمر البيعة ليزيد بمعونة من المغيرة بن شعبة وهو الوالي بالعراق يومئذ[1].

عثمان بن حنيف ونسبه

٨٢- هو عثمان بن حنيف - بضم الحاء - بن واهب بن العكم بن ثعلبة بن الحارث الانصاري ثم الاوسي أخو سهل بن حنيف، يكنى أبا عمرو - وقيل: أبا عبد الله - عمل لعمر ثم لعلي ع، وولاه عمر مساحة الارض وجبايتها بالعراق، وضرب الخراج والجزية على أهلها وولاه علي (عليه السلام) على البصرة، فأخرجه طلحة والزبير منها حين قدماها، وسكن عثمان الكوفة بعد وفاة علي (عليه السلام)، ومات بها في زمن معاوية[2].

حتى شهد مقتل الحسين

٨٣- روى شريك قال: أخبرنا عبد الله بن سعد عن حجر بن عدي، قال: قدمت المدينة فجلست إلى أبي هريرة، فقال: ممن أنت ؟ قلت: من أهل البصرة، قال: ما فعل سمرة ابن جندب؟ قلت: هو حي، قال: ما أحد أحب إلى طول حياة منه. قلت: ولم ذاك ؟ قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي وله ولحذيفة بن اليمان: «**آخركم موتا في النار**»، فسبقنا حذيفة، وأنا الان أتمنى أن أسبقه، قال: فبقي سمرة بن جندب حتى شهد مقتل الحسين.

وروى أحمد بن بشير عن مسعر بن كدام، قال: كان سمرة بن جندب أيام مسير الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة على شرطة عبيد الله بن زياد، وكان يحرض الناس على الخروج إلى الحسين (عليه السلام) وقتاله[3].

بنو جمح

٨٤- واعلم انه (عليه السلام) ذم بني جمح فقال «**وافلتتني اعيار بني جمح**» جمع عير وهو الحمار وقد كان مع عائشة منهم يوم الجمل جماعة هربوا ولم يقتل منهم الا اثنان فممن هرب ونجا بنفسه عبد الله الطويل بن صفوان بن امية بن خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح وكان شريفا وابن شريف وعاش حتى قتل مع ابن الزبير بمكة. ومنهم يحيى بن حكيم بن صفوان بن امية بن خلف عاش حتى استعمله عمرو بن سعيد الاشدق على مكة لما جمع له بين مكة والمدينة فاقام عمرو بالمدينة ويحيى بمكة. ومنهم عامر بن مسعود بن امية بن خلف كان يسمى دحروجة الجعل لقصره وسواده وعاش حتى ولاه زياد صدقات بكر بن وائل وولاه عبد الله بن الزبير بن العوام الكوفة. ومنهم ايوب بن حبيب بن علقمة بن ربيعة بن الاعور بن اهيب بن حذافة بن جمح عاش حتى قتل بقديد قتلته الخوارج. فهؤلاء الذين اعرف حضورهم الجمل مع عائشة من بني جمح وقتل من بني جمح مع عائشة عبد الرحمن بن وهب بن اسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وعبد الله ابن ربيعة بن دراج العنبس بن وهبان بن وهب بن حذافة بن جمح لا اعرف انه قتل من بني جمح ذلك اليوم غيرهما[4].

المغيرة بن سعيد المغالي

٨٥- جاء المغيرة بن سعيد، فاستأذن على أبي جعفر محمد ابن علي بن الحسين، وقال له: أخبر الناس أني أعلم الغيب، وأنا أطعمك العراق. فزجره أبو جعفر زجرا شديدا، وأسمعه ماكره، فانصرف عنه، فأتى أبا هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية رحمه الله، فقال له مثل ذلك - وكان أبو هاشم أيدا - فوثب عليه فضربه ضربا شديدا أشفى به على الموت، فتعالج حتى برئ، ثم أتى محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن رحمه الله - وكان محمد سكيتا فقال له كما قال للرجلين، فسكت محمد فلم يجبه، فخرج وقد طمع فيه بسكوته،

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٤١٠
(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٠٥
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٨
(٤) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ١٢٥

وقال: أشهد أن هذا هو المهدى الذى بشر به رسول الله (ﷺ)، وأنه قائم أهل البيت، وأدعى أن علي بن الحسين (عليه السلام) أوصى إلى محمد بن عبد الله بن الحسن. ثم قدم المغيرة الكوفة، وكان مشعبذا، فدعا الناس إلى قوله، واستهواهم واستغواهم، فاتبعه خلق كثير، وادعى، على محمد ابن عبد الله أنه أذن له في خنق الناس وإسقائهم السموم، وبث أصحابه في الاسفار يفعلون ذلك بالناس، فقال له بعض أصحابه: إنا نخنق من لا نعرف، فقال: لا عليكم ! إن كان من أصحابكم عجلتموه إلى الجنة، وأن كان من عدوكم عجلتموه إلى النار، ولهذا السبب كان المنصور يسمى محمد بن عبد الله الخناق، وينحله ما ادعاه عليه المغيرة[1].

فعلمت أن الله تعالى لم يستجب له

٨٦- قال الطرماح بن حكيم، وكان يرى رأي الخوارج:

وإنى لمقتاد جوادي فقاذف
به وبنفسى اليوم إحدى المتالفُ
لاكسب مالا أو أأوب إلى غنى
من الله يكفيني عداة الخلائفُ
فيا رب إن حانت وفاتي فلا تكن
على شرجع يعلى بخضر المطارفُ
ولكن قبري بطن نسر مقيله
بجو السماء في نسور عواكفُ
وأمسى شهيدا ثاويا في عصابة
يصابون في فج من الارض خائفُ
فوارس أشتات يؤلف بينهم
هدى الله نزالون عند المواقفُ

قال ابن شبرمة: مررت يوما في بعض شوارع الكوفة، فإذا بنعش حوله رجال، وعليه مطرف خز أخضر، فسألت عنه فقيل: الطرماح، فعلمت أن الله تعالى لم يستجب له[2].

ابن مسعود وعثمان

٨٧- أن ابن مسعود كان يقول: ليتنى وعثمان برمل عالج يحثو علي وأحثو عليه حتى يموت الأعجز مني ومنه! ورووا أنه كان يطعن عليه، فيقال له: ألا خرجت عليه، ليخرج معك ! فيقول: لأن أُزَاوِلَ جبلاً راسياً أحبّ إلي من أن أزاول ملكاً مؤجلاً.

وكان يقوم كل يوم جمعة بالكوفة جاهراً معلنا: «إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار». وإنما كان يقول ذلك معرضاً بعثمان، حتى غضب الوليد بن عقبة من استمرار تعريضه، ونهاه عن خطبته هذه، فأبى أن ينتهي، فكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان يستقدمه عليه.

وقد روي عنه أيضاً من طرق لا تحصى كثيرة أنه كان يقول: ما يزن عثمان عند الله جناح ذباب.

وقال -لما حضره الموت-: من يتقبل مني وصية أوصيه بها على ما فيها! فسكت القوم، وعرفوا الذي يريد، فأعادها، فقال عمار بن ياسر رحمه الله تعالى: أنا أقبلها، فقال ابن مسعود: ألاّ يصلي علي عثمان، قال: ذلك لك، فيقال: إنه لما دفن جاء عثمان منكراً لذلك، فقال له قائل: إن عماراً ولي الأمر، فقال لعمار: ما حملك على أن تؤذنى؟ فقال: عهد إلى ألا أوذنك، فوقف على قبره وأثنى عليه، ثم انصرف وهو يقول: رفعتم والله أيديكم عن خير من بقي، فتمثل الزبير بقول الشاعر:

لا ألفينك بعد الموت تندبني
وفي حياتي ما زودتني زادي

ولما مرض ابن مسعود مرضه الذى مات فيه، أتاه عثمان عائداً، فقال: ما تشتكي؟ فقال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربى، قال: ألا أدعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: أفلا آمر لك بعطائك؟ قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه! قال: يكون لولدك، قال: رزقهم على الله تعالى، قال: استغفر لى يا أبا عبد الرحمن، قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك حقي.

وروي أن ابن مسعود لما استقدم المدينة، دخلها ليلة جمعة، فلما علم عثمان بدخوله، قال: أيها الناس، إنه قد طرقكم الليلة دويبة، من تمشي على طعامه يقيء ويسلح. فقال ابن مسعود: لست كذلك، ولكننى صاحب رسول الله (ﷺ) يوم بدر، وصاحبه يوم أحد، وصاحبه يوم بيعة الرضوان، وصاحبه يوم الخندق، وصاحبه يوم حنين. قال: وصاحت عائشة: يا عثمان! أتقول هذا لصاحب رسول الله (ﷺ)! فقال عثمان: اسكتي، ثم قال لعبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبد العزى بن قصي: أخرجه إخراجاً عنيفاً، فأخذه ابن زمعة، فاحتمله حتى جاء به باب المسجد، فضرب به الأرض، فكسر ضلعاً من أضلاعه، فقال ابن مسعود: قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان وفي رواية أخرى إن ابن زمعة الذي فعل به ما فعل كان مولى لعثمان أسود مسدماً طوالاً. وفي رواية أخرى: إن فاعل ذلك يحموم مولى عثمان. وفي رواية، إنه لما احتمله ليخرجه من المسجد ناداه عبد الله: أنشدك الله، ألا تخرجني من مسجد خليلي (ﷺ). قال الراوى: فكأني أنظر إلى حموشة سَاقَي عبد الله بن مسعود ورجلاه تختلفان على عنق مولى عثمان حتى أخرج من المسجد، وهو الذى يقول فيه

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١٢١
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٠٠

رسول الله (ﷺ): «لساقا ابن أم عبد أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد»[1].

أخبرت الأمير أنك أعمى

٨٨- وكان سهم بن طريف عثمانياً، وكان علي بن ربيعة علوياً، فضرب أمير الكوفة علي الناس بعثاً، وضرب على سهم بن طريف معهم، فقال سهم لعلي بن ربيعة: اذهب إلى الامير فكلمه في أمري ليعفيني، فأتى علي بن ربيعة الامير، فقال: أصلحك الله ! إن سهما أعمى فأعفه، قال: قد أعفيته، فلما التقيا قال: قد أخبرت الامير أنك أعمى، وإنما عنيت عمى القلب[2].

السيد الحميري ودولة بني العباس

٨٩- لما صعد السفاح منبر الكوفة يوم بيعته، وخطب الناس، قام إليه السيد الحميرى، فأنشده:

دونكموها يا بنى هاشم ... فجددوا من آيها الطامساً
دونكموها لا علا كعب من ... أمسى عليكم ملكها نافساً
دونكموها فالبسوا تاجها ... لا تعدموا منكم له لابساً
خلافة الله وسلطانه ... وعنصر كان لكم دارساً
قد ساسها من قبلكم ساسة ... لم يتركوا رطبا ولا يابساً
لو خير المنبر فرسانه ... ما اختار إلا منكم فارساً
والملك لو شوور في سائس ... لما ارتضى غيركم سائساً
لم يبق عبد الله بالشام من ... آل أبى العاص امرءاً عاطساً
فلست من أن تملكوها إلى ... هبوط عيسى منكم آيسا[3].

استشهاد الأشتر

٩٠- عن الشعبى قال: هلك الاشتر حين أتى عقبة أفيق.

عن كليب، أن عليا لما بعث الاشتر إلى مصر واليا عليها، وبلغ معاوية خبره، بعث رسولا يتبع الاشتر إلى مصر وأمره باغتياله: فحمل معه مزودين فيهما شراب، وصحب الاشتر، فاستسقى الاشتر يوما فسقاه من أحدهما. ثم استسقى يوما آخر منه فسقاه من الاخر، وفيه سم فشربه، فمالت عنقه. وطلب الرجل ففاتهم.

وأن معاوية أقبل يقول لاهل الشام: أيها الناس، إن عليا قد وجه الاشتر إلى مصر، فادعوا الله أن يكفيكموه، فكانوا يدعون عليه في دبر كل صلاة، وأقبل الذى سقاه السم إلى معاوية، فأخبره بهلاك الاشتر، فقام معاوية في الناس خطيبا، فقال: أما بعد، فإنه كان لعلى بن إبى طالب يدان يمينان، فقطعت، إحداهما يوم صفين وهو عمار بن ياسر، وقد قطعت الاخرى اليوم، وهو مالك الاشتر.

فلما بلغ عليا موت الاشتر، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ! والحمد لله رب العالمين ! اللهم إنى أحتسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر. ثم قال: رحم الله مالكا، فلقد وفى بعهده، وقضى نحبه، ولقى ربه، مع أنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله (ﷺ) فإنها من أعظم المصيبات.

عن مغيرة الضبي، قال: لم يزل أمر علي شديداً حتى مات الاشتر، وكان الاشتر بالكوفة أسود من الاحنف بالبصرة.

عن جماعة من أشياخ النخع، قالوا: دخلنا على أمير المؤمنين حين بلغه موت الاشتر، فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه، ثم قال: لله در مالك ! وما مالك ! لو كان من جبل لكان فندا ولو كان من حجر لكان صلدا، أما والله ليهدن موتك عالما، وليفرحن عالما، على مثل مالك فلتبك البوا كي! وهل موجود كمالك!

قال علقمة بن قيس النخعي: فما زال علي يتلهف ويتأسف، حتى ظننا أنه المصاب به دوننا، وعرف ذلك في وجهه أياما[4].

المراعي حمى لاهل الكتاب

٩١- عن ابن الاعرابي، أن أبا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة، فأنزله الوليد دار عقيل بن أبى طالب عند باب المسجد، واستوهبها منه، فوهبها له، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة لان أبا زبيد كان يخرج من داره حتى يشق المسجد إلى الوليد فيسمر عنده، ويشرب معه، ويخرج فيشق المسجد وهو سكران، فذاك نبههم عليه. قال: وقد كان عثمان ولى الوليد صدقات بنى تغلب، فبلغه عنه شعر فيه خلاعة، فعزله. قال: فلما ولاه الكوفة اختص أبا زبيد الطائى وقربه، ومدحه أبو زبيد بشعر كثير، وقد كان الوليد استعمل الربيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لام الطائي على الحمى فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة: فأجدبت الجزيرة، وكان أبو زبيد في بنى تغلب نازلا، فخرج بإبلهم ليرعيهم، فأبى عليهم الربيع بن مري ومنعهم، وقال لابي زبيد: أن شئت أرعيك وحدك فعلت، فأتى أبو زبيد إلى الوليد فشكاه، فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام، إلى القصور الحمر من الحيرة وجعلها له حمى، وأخذها من الربيع ابن مرى[5].

الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله

٩٢- المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، كان أجود الناس بالمال، وأطعمهم للطعام، وكانت عينه أصيبت مع مسلمة بن عبد الملك في غزوة الروم، وكان المغيرة ينحر

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤١
(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٠
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٥٨
(٤) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٧٣
(٥) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٢٣٦

الجزور، ويطعم الطعام حيث نزل ولا يرد أحدا، فجاء قوم من الاعراب فجلسوا على طعامه، فجعل أحدهم يحد النظر إليه، فقال له المغيرة مالك تحد النظر إلي ! قال: إني ليريبني عينك وسماحك بالطعام، قال ومم ارتبت ؟ قال: أظنك الدجال، لانا روينا أنه أعور، وأنه أطعم الناس للطعام، فقال المغيرة: ويحك ! إن الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله. وللمغيرة يقول الاقيشر الاسدي لما قدم الكوفة فنحر الجزر وبسط الانطاع وأطعم الناس، وصار صيته في العرب:

أتاك البحر طم على قريش
معيرتني فقد راع ابن بشر
وراع الجدي جدي التيم لما
رأى المعروف منه غير نزر
ومن أوتار عقبة قد شفاني
ورهط الحاطبي ورهط صخر
فلا يغررك حسن الزي منهم
ولاسرح ببزيون ونمر[1]

ام مسلم بن عقيل

٩٣- روى المدائني قال: قال معاوية يوماً لعقيل بن ابى طالب هل من حاجة فأقضيها لك قال نعم جارية عرضت علي وأبى أصحابها أن يبيعوها إلاّ بأربعين ألفاً فأحب معاوية أن يمازحه فقال وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً وأنت أعمى تجتزئ بجارية قيمتها خمسون درهماً قال أرجو أن أطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف فضحك معاوية وقال مازحناك يا أبا يزيد.. وأمر فابتيعت له الجارية التى أولد منها مسلماً فلما أتت على مسلم ثماني عشرة سنة - وقد مات عقيل ابوه - قال لمعاوية يا امير المؤمنين إن لي أرضا بمكان كذا من المدينة وإني أعطيت بها مائة ألف وقد أحببت أن أبيعك إياها فادفع إلي ثمنها فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن إليه. فبلغ ذلك الحسين (عليه السلام) فكتب إلى معاوية أما بعد فإنك غررت غلاما من بني هاشم فابتعت منه أرضاً لا يملكها فاقبض من الغلام ما دفعته إليه واردد إلينا أرضنا. فبعث معاوية إلى مسلم فأخبره ذلك وأقرأه كتاب الحسين (عليه السلام) وقال اردد علينا مالنا وخذ أرضك فإنك بعت ما لا تملك فقال مسلم أما دون أن اضرب رأسك بالسيف فلا فاستلقى معاوية ضاحكاً يضرب برجليه فقال يا بني هذا والله كلام قاله ل] ابوك حين ابتعت له أمك. ثم كتب إلى الحسين أني قد رددت عليكم الأرض وسوغت مسلماً ما أخذ[2].

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٣٠٨
(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢٥١

إذا ذاتُ دلٍّ كلَّمَتهُ لحاجةٍ

٩٤- وتقدمت كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث - وكانت جميلة - وأخوها الوليد بن سريع إلى عبد الملك بن عمير، وهو قاض بالكوفة، فقضى لها على أخيها، فقال هذيل الأشجعي:

أتاه وليد بالشهود يسوقهم
على ما ادعى من صامت المال والخول
وجاءت إليه كلثم وكلامها
شفاء من الداء المخامر والخبل
فأدلى وليد عند ذاك بحقه
وكان وليد ذا مراء وذا جدل
فدلهت القبطي حتى قضى لها
بغير قضاء الله في محكم الطول
فلو كان من في القصر يعلم علمه
لما استعمل القبطي فينا على عمل
له حين يقضى للنساء تخاوص
وكان وما فيه التخاوص والحول
إذا ذات دل كلمته لحاجه
فهم بأن يقضى تنحنح أو سعل
وبرق عينيه ولاك لسانه
يرى كل شئ ما خلا وصلها جلل

وكان عبد الملك بن عمير يقول لعن الله الأشجعي، والله لربما جاءتني السعلة والنحنحة وأنا في المتوضأ فأردهما لما شاع من شعره[3].

ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا

٩٥- رووا أن عقيلا رحمه الله تعالى، قدم على أمير المؤمنين، فوجده جالسا في صحن المسجد بالكوفة، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته - وكان عقيل قد كف بصره - فقال: وعليك السلام يا أبا يزيد، ثم التفت إلى ابنه الحسن (عليه السلام)، فقال: قم فأنزل عمك، فقام فأنزله، ثم عاد فقال: اذهب فاشتر لعمك قميصا جديدا، ورداء جديدا، وإزارا جديدا، ونعلا جديدا، فذهب فاشترى له، فغدا عقيل على علي (عليه السلام) في الثياب، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال: وعليك السلام يا أبا يزيد، قال: يا أمير المؤمنين، ما أراك أصبت من الدنيا شيئا، وإني لا ترضى نفسي من خلافتك بما رضيت به لنفسك، فقال: يا أبا يزيد، يخرج عطائي فأدفعه إليك. فلما ارتحل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أتى معاوية فنصبت له

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٦١

كراسيه، وأجلس جلساءه حوله، فلما ورد عليه أمر له بمائة ألف فقبضها، ثم غدا عليه يوما بعد ذلك، وبعد وفاة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وبيعة الحسن لمعاوية، وجلساء معاوية حوله، فقال: يا أبا يزيد، أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك، فقد وردت عليهما، قال: أخبرك، مررت والله بعسكر أخي، فإذا ليل كليل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ونهار كنهار رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إلا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليس في القوم، ما رأيت إلا مصليا، ولا سمعت إلا قارئا. ومررت بعسكرك، فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة، ثم قال: من هذا عن يمينك يا معاوية ؟ قال: هذا عمرو بن العاص، قال: هذا الذي اختصم فيه ستة نفر، فغلب عليه جزار قريش: فمن الآخر ؟ قال: الضحاك بن قيس الفهري قال: أما والله لقد كان أبوه جيد الاخذ لعسب التيوس، فمن هذا الآخر ؟ قال ابو موسى الاشعري، قال: هذا ابن السراقة، فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه، علم أنه إن استخبره عن نفسه، قال فيه سوءا، فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من السوء، فيذهب بذلك غضب جلسائه، قال: يا أبا يزيد، فما تقول في ؟ قال: دعني من هذا ! قال: لتقولن، قال: أتعرف حمامة ؟ قال: ومن حمامة يا أبا يزيد ؟ قال: قد أخبرتك، ثم قام فمضى، فأرسل معاوية إلى النسابة، فدعاه، فقال: من حمامة ؟ قال ولي الامان ! قال: نعم، قال: حمامة جدتك أم أبي سفيان، كانت بغيا في الجاهلية صاحبة راية، فقال معاوية لجلسائه: قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا[1].

الفصل الخامس
أخبار ولاة الكوفة

الحجاج

٩٦- من كلام الحجاج: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الاخلاق ! أما والله لالحونكم لحو العصا، ولاعصبنكم عصب السلم، ولاضربنكم ضرب غرائب الابل، إني أسمع لكم تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد به الترغيب، ولكنه تكبير الترهيب. ألا إنها عجاجة تحتها قصف، يا بنى اللكيعة، وعبيد العصا، وأبناء الاماء ! إنما مثلى ومثلكم كما قال ابن براقة:

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم
فهل أنا في ذا يال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارما
وأنفا حميا تجتنبك المظالم

والله لا تقرع عصا عصا إلا جعلتها كأمس الذاهب. وكانت هذه الخطبة عقيب سماعه تكبيرا منكرا في شوارع الكوفة، فأشفق من الفتنة[2].

ولكنني قاتلتكم لاتأمَّر عليكم وعلى رقابكم

٩٧- خرج على معاوية قوم من الخوارج بعد دخوله الكوفة وصلح الحسن (عليه السلام) له فأرسل معاوية إلى الحسن (عليه السلام) يسأله أن يخرج فيقاتل الخوارج، فقال الحسن: سبحان الله ! تركت قتالك وهو لي حلال لصلاح الامة وألفتهم، أفتراني أقاتل معك ! فخطب معاوية أهل الكوفة، فقال: يا أهل الكوفة أ ترونى قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكنني قاتلتكم لاتأمر عليكم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا إن كل مال أو دم أصيب في هذه الفتنة فمطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين، ولا يصلح الناس إلا ثلاث: إخراج العطاء عند محله، وإقفال الجنود لوقتها، وغزو العدو في داره، فإنهم إن لم تغزوهم غزوكم. ثم نزل[3].

قد وليتك الكوفة

٩٨- قال لم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب، والحكم ابن أبى العاص، والوليد بن عقبة، ولم يكن سريره يسع إلا عثمان وواحدا منهم، فأقبل الوليد يوما فجلس، فجاء الحكم بن أبى العاص فأومأ عثمان إلى الوليد، فرحل له عن مجلسه، فلما قام الحكم قال الوليد: والله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج في صدري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت ابن عمك على ابن أمك - وكان الحكم عم عثمان، والوليد أخاه لامه - فقال عثمان: إن الحكم شيخ قريش، فما البيتان ؟ فقال:

رأيت لعم المرء زلفى قرابة
دوين أخيه حادثا لم يكن قدما
فأملت عمرا أن يشب وخالدا
لكى يدعوانى يوم نائبة عما

يعنى عمرا وخالدا ابني عثمان. قال: فرق له عثمان وقال: قد وليتك الكوفة، فأخرجه إليها[4].

ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم

٩٩- صلى الوليد بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم[5].

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٤٣
(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٤
(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٢٢٧
(٥) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٢٢٩

شعر الحطيئة في سكر الوليد

١٠٠- قال الحطيئة يذكر الوليد:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه
أن الوليد أحق بالغدر
نادى وقد تمت صلاتهم
أأزيدكم _ سكرا _ ولم يدر
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا
لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا عنانك إذ جريت ولو
تركوا عنانك لم تزِر

وقال الحطيئة أيضا:

تكلم في الصلاة وزاد فيها
علانية وأعلن بالنفاق
وموج الخمر في سنن المصلى
ونادى والجميع إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني
فما لكم وما لي من خلاق.

وقد عكس الحطيئة أبياته فجعلها مدحا للوليد:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه
أن الوليد أحق بالعذر
كفوا عنانك إذ جريت ولو
تركوا عنانك لم تزل تجري
ورأوا شمائل ماجد أنف
يعطي على الميسور والعسر
فنزعت مكذوبا عليك ولم
تنزع على طمع ولا ذعر[1]

الوليد والساحر وجندب بن زهير

١٠١- اختص الوليد لما كان واليا بالكوفة ساحرا كاد يفتن الناس، كان يريه كتيبتين تقتتلان فتحمل إحداهما على الاخرى فتهزمها، ثم يقول له أيسرك أن أريك المنهزمة تغلب الغالبه فتهزمها ؟ فيقول: نعم، فجاء جندب الازدي مشتملا على سيفه، فقال: أفرجوا، لى، فأفرجوا فضربه حتى قتله، فحبسه الوليد قليلا ثم تركه[2].

روى أحمد عن عمر: أن جندبا لما قتل الساحر حبسه الوليد، فقال له دينار بن دينار: فيم حبست هذا، وقد قتل من أعلن بالسحر في دين محمد (ﷺ)، ثم مضى إليه فأخرجه من الحبس، فأرسل الوليد إلى دينار ابن دينار فقتله[3].

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٢٢٩
(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٢٤٠

يضرب أحدهما ضربة يفرق بين الحق والباطل

١٠٢- عن الزهري وغيره، أن رسول الله (ﷺ) لما انصرف عن غزاة بنى المصطلق نزل رجل من المسلمين فساق بالقوم ورجز، ثم آخر فساق بهم ورجز، ثم بدا لرسول الله (ﷺ) أن يواسي أصحابه، فنزل فساق بهم ورجز، وجعل يقول فيما يقول: جندب وما جندب والاقطع زيد الخير فدنا منه أصحابه فقالوا: يا رسول الله، ما ينفعنا سيرنا مخافة أن تنهشك دابة، أو تصيبك نكبة. فركب ودنوا منه وقالوا: قلت قولا لا ندرى ما هو ؟ قال: وما ذاك ؟ قالوا: كنت تقول: جندب وما جندب، والاقطع زيد الخير. فقال: رجلان يكونان في هذه الامة يضرب أحدهما ضربة يفرق بين الحق والباطل، وتقطع يد الاخر في سبيل الله ثم، يتبع الله آخر جسده بأوله، وكان زيد، هو زيد بن صوحان، وقطعت يده في سبيل الله يوم جلولاء، وقتل يوم الجمل مع علي بن أبى طالب (عليه السلام) وأما جندب هذا فدخل على الوليد بن عقبة وعنده ساحر يقال له: أبو شيبان، يأخذ أعين الناس، فيخرج مصارين بطنهم ثم يردها، فجاء من خلفه فضربه فقتله، وقال:

العن وليدا وأبا شيبان
وابن حبيش راكب الشيطان
رسول فرعون إلى هامان

وقد روى أن هذا الساحر كان يدخل عند الوليد في جوف بقرة حية، ثم يخرج منها، فرآه جندب فذهب إلى بيته، فاشتمل على سيف، فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب: ﴿**أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**﴾ ثم ضرب وسط البقره فقطعها وقطع الساحر معها، فذعر الناس، فسجنه الوليد، وكتب بأمره إلى عثمان[4].

ربّي ربٌّ جندب

١٠٣- انطلق بجندب بن كعب الازدي قاتل الساحر بالكوفة إلى السجن، وعلى السجن رجل نصراني من قبل الوليد، وكان يرى جندب بن كعب يقوم بالليل ويصبح صائما، فوكل بالسجن رجلا، ثم خرج فسأل الناس عن أفضل أهل الكوفة، فقالوا: الاشعث بن قيس، فاستضافه فجعل يراه ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه، فخرج من عنده وسأل: أي أهل الكوفة أفضل ؟ قالوا: جرير بن عبد الله، فذهب إليه فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه، فاستقبل القبلة، وقال: ربي رب جندب، وديني دين جندب. ثم أسلم[5].

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٢٤٠
(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٢٤٠
(٥) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٢٤١

أما يجد فسّاق العراق ومرّاقها ملجأً إلاّ بيت عائشة !

١٠٤- خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال: أكلما غضب رجل على أميره رماه بالباطل ! لئن أصبحت لكم لانكلن بكم، فاستجاروا بعائشة، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: أما يجد فساق العراق ومرّاقها ملجأً إلاّ بيت عائشة ! فسمعت، فرفعت نعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالت: تركت سنة صاحب هذا النعل، وتسامع الناس فجاؤوا حتى ملأوا المسجد، فمن قائل: قد أحسَنَت، ومن قائل: ما للنساء ولهذا؟! حتى تخاصموا وتضاربوا بالنعال، ودخل رهط من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عثمان فقالوا له: اتق الله ولا تعطل الحدود، واعزل أخاك عنهم، ففعل[١].

ضع المفتاح فاذهب حيث شئت

١٠٥- قال أبو وائل: استعملني ابن زياد على بيت المال بالكوفة فأتاني رجل بصك يقول فيه أعط صاحب المطبخ ثمانمائة درهم فقلت له مكانك ودخلت على ابن زياد فقلت له: إن عمر استعمل عبد الله بن مسعود بالكوفة على القضاء وبيت المال واستعمل عثمان بن حنيف على سقي الفرات واستعمل عمار بن ياسر على الصلاة والجند فرزقهم كل يوم شاة واحدة فجعل نصفها وسقطها وأكارعها لعمار لانه كان على الصلاة والجند وجعل لابن مسعود ربعها ولابن حنيف ربعها ثم قال: إن مالا يؤخذ منه كل يوم شاة إن ذلك فيه لسريع فقال: ابن زياد ضع المفتاح فاذهب حيث شئت[٢].

فإني أجد اليوم نشاطاً ؟

١٠٦- قدم رجل من أهل الكوفة إلى المدينة فقال لعثمان: إني صليت صلاه الغداة خلف الوليد، فالتفت في الصلاة إلى الناس، فقال: أأزيدكم، فإني أجد اليوم نشاطا ؟ وشممنا منه رائحة الخمر، فضرب عثمان الرجل، فقال الناس: عطلت الحدود، وضربت الشهود[٣].

نعم أعرفه أعور زانياً

١٠٧- عن الجاحظ أبى عثمان عمرو بن بحر قال: كان المغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي يوماً متوافقين بالكناسة في نفر وطلع عليهم أعرابي فقال لهم المغيرة: دعوني أحركه، قالوا: لا تفعل فإن للأعراب جواباً يؤثر، قال: لا بد، قالوا: فأنت أعلم، فقال له: يا أعرابي أتعرف المغيرة ابن شعبة ؟ قال: نعم أعرفه أعور زانياً فوجم ثم تجلد، فقال: أتعرف الأشعث بن قيس؟ قال: نعم ذاك رجل لا يعرى قومه، قال: وكيف ذاك؟ قال: لانهم حاكة. قال: فهل تعرف جرير بن عبد الله؟ قال: كيف لا أعرف رجلاً لولاه ما عرفت عشيرته! فقالوا: قبحك الله فإنك شر جليس هل تحب أن يوقر لك بعيرك هذا مالا وتموت أكرم العرب موتة ؟ قال: فمن يبلغه إذن أهلى ؟ فانصرفوا عنه فتركوه[٤].

النقاد ذو الرقبة

١٠٨- وروى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في كتاب،، المنتظم،، أن زيادا لما حصبه أهل الكوفة، وهو يخطب على المنبر، قطع أيدى ثمانين منهم، وهم أن يخرب دورهم، ويجمر نخلهم، فجمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة، يعرضهم على البراءة من علي (عليه السلام)، وعلم أنهم سيمتنعون، فيحتج بذلك على استئصالهم، وإخراب بلدهم. قال عبد الرحمن بن السائب الانصاري: فإنى لمع نفر من قومي، والناس يومئذ في أمر عظيم، إذ هومت تهويمة، فرأيت شيئا أقبل، طويل العنق، مثل عنق البعير أهدر أهدل، فقلت: ما أنت ؟ فقال: أنا النقاد ذو الرقبة، بعثت إلى صاحب هذا القصر، فاستيقظت فزعا، فقلت لاصحابي: هل رأيتم ما رأيت ؟ قالوا: لا، فأخبرتهم، وخرج علينا خارج من القصر، فقال: انصرفوا، فإن الامير يقول لكم: إنى عنكم اليوم مشغول، وإذا بالطاعون قد ضربه، فكان يقول: إنى لاجد في النصف من جسدي حر النار حتى مات، فقال عبد الرحمن بن السائب:

ما كان منتهياعما أراد بنا	حتى تناوله النقاد ذو الرقبه
فأثبت الشق منه ضربة عظمت	كما تناول ظلماً صاحب الرحبة

قلت: قد يظن ظان أن: «قوله صاحب الرحبة» يمكن أن يحتج به من قال: إن قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) في رحبة المسجد بالكوفة، ولا حجة في ذلك، لان أمير المؤمنين كان يجلس معظم زمانه في رحبة المسجد، يحكم بين الناس، فجاز أن ينسب إليه بهذا الاعتبار[٥].

حديث عن امرئ القيس

١٠٩- عن الهيثم بن عدي، عن مجالد بن سعيد، عن عبد الملك بن عمير، قال: قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة أميراً على العراق، فأرسل إلى عشرة من وجوه أهل الكوفة أنا أحدهم، فسرنا عنده، فقال: ليحدثني كل رجل منكم أحدوثة وابدأ أنت يا أبا عمرو، فقلت: أصلح الله الأمير ! أحديث حق أم حديث باطل ؟

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٢٣٢
(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٢٣
(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٢٣٣
(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٣٩
(٥) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٩٨

قال: بل حديث حق، فقلت: إن امرأ القيس كان آلى ألية ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنتين، فجعل يخطب النساء، فإذا سألهن عن هذا قلن: اربعة عشر، فبينا هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة صغيرة له كأنها البدر لتمه، فأعجبته، فقال لها: يا جارية، ما ثمانية، وأربعة، واثنتان، فقالت: أما ثمانية فأطباء الكلبة، وأما أربعة: فأخلاف الناقة، وأما اثنتان فثديا المرأة، فخطبها إلى أبيها، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك، وعلى أن يسوق إليها مائة من الابل، وعشرة أعبد، وعشر وصائف، وثلاثة أفراس، ففعل ذلك، ثم بعث عبدا إلى المرأة، وأهدى إليها معه نحيا من سمن ونحيا من عسل وحلة من عصب، فنزل العبد على بعض المياه، ونشر الحلة فلبسها فتعلقت بسمرة فانشقت، وفتح النحيين فاطعم أهل الماء منهما فنقصا، ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع إليها هديتها، فقالت أعلم مولاك إن أبي ذهب يقرب بعيدا، ويبعد قريبا، وإن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وإن أخى ذهب يراعي الشمس، وإن سماءكم انشقت، وإن وعاءيكم نضبا. فقدم الغلام على مولاه، فأخبره فقال: أما قولها: إن أبى ذهب يقرب بعيدا، ويبعد قريبا، فإن أباها ذهب يحالف قوما على قومه، وأما قولها: إن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفساء. وأما قولها: إن أخى ذهب يراعي الشمس، فإن أخاها في سرح له يرعاه، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به، وأما قولها: إن سماءكم انشقت، فإن البرد الذى بعثت به انشق، وأما قولها إن وعاءيكم نضبا فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا، فاصدقني. فقال: يا مولاى، إنى نزلت بماء من مياه العرب، فسالوني عن نسبي فأخبرتهم إنى ابن عمك، ونشرت الحلة ولبستها وتجملت بها، فتعلقت بسمرة فانشقت، وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء، فقال: أولى لك ! ثم ساق مائة من الابل، وخرج نحوها ومعه العبد يسقى الابل، فعجز، فأعانه امرؤ القيس، فرمى به العبد في البئر، وخرج حتى أتى إلى أهل الجارية بالابل، فأخبرهم إنه زوجها، فقيل لها: قد جاء زوجك، فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا ! ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا، فأكل ما أطعموه، فقالت: اسقوه لبنا حازرا وهو الحامض - فسقوه فشرب، فقالت افرشوا له عند الفرث والدم، ففرشوا له، فنام فلما أصبحت أرسلت إليه: إني أريد أن أسألك، فقال لها: سلي عما بدا لك، فقالت: مم تختلج شفتاك ؟ قال: من تقبيلي إياك، فقالت: مم يختلج كشحاك، قال: لالتزامى إياك، قالت: فمم يختلج فخذاك ؟ قال: لتوركي إياك، فقالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به، ففعلوا. قال: ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع إلى حيه وساق مائة من الابل، وأقبل إلى امرأته فقيل لها، قد جاء زوجك، فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا ! ولكن انحروا له جزورا، وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا، فلما أتوه بذلك قال: وأين الكبد والسنام والملحاء، وأبى أن يأكل، فقالت: اسقوه لبنا حازرا، فأتى به، فأبى إن يشربه، وقال: فأين الضريب والرثيئة ؟ فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم، ففرشوا له فأبى أن ينام، وقال: افرشوا لى عند التلعة الحمراء، واضربوا لي عليها خباء، ثم أرسلت إليه: هلم شريطتى عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها أي سلى عما شئت، فقالت: مم تختلج شفتاك ؟ فقال: لشربي المشعشعات، قالت: فمم يختلج كشحاك ؟ قال: للبسى الحبرات. قالت: فمم تختلج فخذاك ؟ قال: لركضي المطهمات، فقالت: هذا زوجي لعمري، فعليكم به. فاهديت إليه الجارية. فقال ابن هبيرة: حسبكم، فلا خير في الحديث سائر الليلة بعد حديث أبي عمرو، ولن يأتينا أحد منكم بأعجب منه، فانصرفنا وأمر لي بجائزة[1].

بطش الحجاج

١١٠- لم يزل المهلب ومن معه من قواده وابن مخنف، في عدد قليل عند حربه للخوارج، فلم يلبثوا أن ولي الحجاج العراق. فدخل الكوفة قبل البصرة، وذلك في سنة خمس وسبعين، فخطبهم الخطبة المشهورة، وتهددهم، ثم نزل فقال لوجوه أهلها: ما كانت الولاة تفعل بالعصاة ؟ قالوا: كانت تضرب وتحبس، فقال: ولكن ليس لهم عندي إلا السيف، إن المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون، ولو ساغت المعصية لاهلها، ما قوتل عدو، ولا جبي فئ، ولا عز دين. ثم جلس لتوجيه الناس، فقال: قد أجلتكم ثلاثا، وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها إلا قتلته. ثم قال لصاحب حرسه ولصاحب شرطته: إذا مضت ثلاثة أيام، فاشحذا سيوفكما. فجاءه عمير بن ضابئ البرجمي بابنه فقال: أصلح الله الامير ! إن هذا أنفع لكم مني، وهو أشد بنى تميم أبدانا، وأجمعهم سلاحا، وأربطهم جاشا، وأنا شيخ كبير عليل، واستشهد جلساءه، فقال له الحجاج: إن عذرك لواضح، وإن ضعفك لبين، ولكني أكره أن يجترئ بك الناس علي، وبعد، فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان، وأمر به فقتل، فاحتمل الناس، وإن أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه، ففى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الاسدي:

أقول لعبد الله يوم لقيته
أرى الامر أمسى منصبا متشعبا

فوضع للناس أعطياتهم، فجعلوا يأخذون، حتى أتاه شيخ يرعش كبرا، فقال: أيها الامير، إني من الضعف على ما ترى،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢١٥

ولي ابن هو أقوى على الاسفار مني، فتقبله بدلا مني، فقال الحجاج: نفعل أيها الشيخ، فلما ولي قال له قائل: «هو عنبسة بن سعيد الاموى»: أتدري من هذا أيها الامير ؟ قال: لا، قال: هذا عمير بن ضابئ البرجمي الذى يقول أبوه:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني
تركت على عثمان تبكى حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا، فوطئ بطنه، فكسر ضلعين من أضلاعه. فقال: ردوه، فلما رد قال له الحجاج: أيها الشيخ، هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ! إن في قتلك أيها الشيخ لصلاحا للمسلمين، يا حرسي، اضرب عنقه[1].

كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى ابن مريم

١١١- لما سار مروان إلى الزاب، حفر خندقا، فسار إليه أبو عون عبد الله بن يزيد الازدي، وكان قحطبة بن شبيب قد وجهه وأمده أبو سلمة الخلال بأمداد كثيرة، فكان بإزاء مروان. ثم إن أبا العباس السفاح قال لاهله وهو بالكوفة حينئذ: من يسير إلى مروان من أهل بيتى وله ولاية العهد إن قتله ؟ فقال عبد الله عمه: أنا، قال: سر على بركة الله، فسار فقدم على أبي عون، فتحول له أبو عون عن سرادقه وخلاه له بما فيه، ثم سأل عبد الله عن مخاضة في الزاب، فدل عليها، فأمر قائدا من قواده فعبرها في خمسة آلاف، فانتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم، حتى أمسوا وتحاجزوا، ورجع القائد بأصحابه، فعبر المخاضة إلى عسكر عبد الله بن علي، وأصبح مروان، فعقد جسرا، وعبر بالجيش كله إلى عبد الله بن علي، فكان ابنه عبد الله بن مروان في مقدمته، وعلى الميمنة الوليد ابن معاوية بن عبد الملك بن مروان، وعلى الميسرة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ابن مروان، وعبى عبد الله بن علي جيشه، وتراءى الجمعان، فقال مروان لعبد العزيز ابن عمر: انظر، فإن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى ابن مريم، وإن قاتلونا قبل الزوال، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! ثم أرسل إلى عبد الله ابن علي يسأله الكف عن القتال نهار ذلك اليوم، فقال عبد الله: كذب ابن زربى إنما يريد المدافعة إلى الزوال، لا والله لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله. ثم حرك أصحابه للقتال، فنادى مروان في أهل الشام: لا تبدؤوهم بالحرب، فلم يسمع الوليد ابن معاوية منه، وحمل على ميسرة عبد الله بن علي، فغضب مروان وشتمه، فلم يسمع له واضطرمت الحرب، فأمر عبد الله الرماة أن ينزلوا، ونادى: الارض الارض ! فنزل الناس، ورمت الرماة، وأشرعت الرماح وجثوا على الركب، فاشتد القتال، فقال مروان لقضاعة: انزلوا، قالوا: حتى تنزل كندة، فقال لكندة انزلوا، فقالوا: حتى تنزل السكاسك، فقال لبنى سليم: انزلوا، فقالوا: حتى تنزل عامر، فقال لتميم: احملوا، فقالوا: حتى تحمل بنو أسد، فقال لهوازن احملوا، قالوا حتى تحمل غطفان، فقال لصاحب شرطته: احمل ويلك ! قال: ما كنت لاجعل نفسي غرضا، قال: أما والله لاسوأنك، قال: وددت أن أمير المؤمنين يقدر على ذلك ! فانهزم عسكر مروان وانهزم مروان معهم، وقطع الجسر، فكان من هلك غرقا أكثر ممن هلك تحت السيف، واحتوى عبد الله بن علي على عسكر مروان بما فيه، وكتب إلى أبى العباس يخبره الواقعة.

لا تمضي الجمعة حتى تبايعوا إليّ أو أضرب أعناقكم

١١٢- جمع عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية وعبدالله بن عباس في سبعة عشر رجلا من بنى هاشم، منهم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وحصرهم في شعب بمكة يعرف بشعب عارم، وقال: لا تمضي الجمعة حتى تبايعوا إلي أو أضرب أعناقكم، أو أحرقكم بالنار، ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنار، فالتزمه ابن مسور بن مخرمة الزهري، وناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة، فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفية بغسول وثياب بيض، فاغتسل وتلبس وتحنط لا يشك في القتل، وقد بعث المختار بن أبى عبيد من الكوفة أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف، فلما نزلوا ذات عرق، تعجل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافوا مكة صبيحة الجمعة ينادون: يا محمد، يا محمد ! وقد شهروا السلاح حتى وافو شعب عارم، فاستخلصوا محمد بن الحنفية ومن كان معه، وبعث محمد بن الحنفية الحسن بن الحسن ينادى: من كان يرى إن لله عليه حقا فليشم سيفه، فلا حاجة لى بأمر الناس، إن أعطيتها عفوا قبلتها، وإن كرهوا لم نبتزهم أمرهم. وفى شعب عارم وحصار ابن الحنفية فيه يقول كثير بن عبد الرحمن:

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى
من الناس يعلم إنه غير ظالم
سميّ النبي المصطفى وابن عمه
وحمال أثقال وفكاك غارم
تخبر من لاقيت إنك عائذ
بل العائذ المحبوس في سجن عارم[2].

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٨١

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٢٣

وضع الاحاديث في فضائل عثمان والشيخين

١١٣- قال كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل ابى تراب واهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي اهل بيته وكان اشد الناس بلاء حينئذ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي (عليه السلام) فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لانه كان منهم ايام علي (عليه السلام) فقتلهم تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الايدى والارجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية الى عماله في جميع الافاق الا يجيزوا لاحد من شيعة علي واهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه واهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم ابيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى اكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجئ احد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة الا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حينا. ثم كتب الى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين ولا تتركوا خبرا يرويه احد من المسلمين في ابى تراب الا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فان هذا احب الي واقر لعيني وادحض لحجة ابى تراب وشيعته واشد عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس فرويت اخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجد الناس في رواية ما يجرى هذا المجرى حتى اشادوا بذكر ذلك على المنابر والقي الى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله. ثم كتب الى عماله نسخة واحدة الى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة انه يحب عليا واهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة اخرى من اتهمتوه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدمو داره فلم يكن البلاء اشد ولا اكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة علي (عليه السلام) لياتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى ياخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمن عليه فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان اعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الاحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الاموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الاخبار والاحاديث الى ايدى الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون انها حق ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها. فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن علي (عليه السلام) فازداد البلاء والفتنة فلم يبق احد من هذا القبيل الا وهو خائف على دمه أو طريد في الارض. ثم تفاقم الامر بعد قتل الحسين (عليه السلام) وولي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه اهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة اعدائه وموالاة من يدعي من الناس انهم ايضا اعداؤه فاكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم واكثروا من الغض من علي (عليه السلام) و عيبه والطعن فيه والشنآن[1].

هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك !

١١٤- فأما الكعبة فإن الحجاج في أيام عبد الملك هدمها، وكان الوليد بن يزيد يصلي إذا صلى أوقات إفاقته من السكر إلى غير القبلة، فقيل له، فقرا: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾. وخطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمدينة، فقال: تبا لهم ! إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية ! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ! أ لا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله[2]!

هؤلاء أهلي ولحمي، فماذا صنعتم بهم؟

١١٥- وقد جاءنا في بعض الروايات أن السفاح لما أراد أن يقتل القوم الذين انضموا إليه من بنى أمية جلس يوما على سرير بهاشمية الكوفة وجاء بنو أمية وغيرهم من بني هاشم، والقواد والكتاب، فأجلسهم في دار تتصل بداره، وبينه وبينهم ستر مسدول، ثم أخرج إليهم أبا الجهم بن عطية، وبيده كتاب ملصق، فنادى بحيث يسمعون: أين رسول الحسين ابن علي بن أبى طالب (عليه السلام) ؟ فلم يتكلم أحد، فدخل ثم خرج ثانية فنادى: أين رسول زيد بن علي بن الحسين ؟ فلم يجبه أحد، فدخل ثم خرج ثالثة، فنادى: أين رسول يحيى بن زيد بن علي ؟ فلم يرد أحد عليه، فدخل ثم خرج رابعة، فنادى: أين رسول إبراهيم بن محمد الامام ؟ والقوم ينظر بعضهم إلى بعض، وقد أيقنوا بالشر، ثم دخل وخرج، فقال: لهم إن أمير المؤمنين يقول لكم: هؤلاء أهلى ولحمي، فماذا صنعتم بهم ؟ ردوهم إلي أو فاقيدوني من أنفسكم. فلم ينطقوا بحرف، وخرجت الخراسانية بالاعمدة فشدخوهم عن آخرهم.

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٤٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ٢٤٢

قلت: وهذا المعنى مأخوذ من قول الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب لما قتل زيد بن علي (عليه السلام) في سنة اثنتين وعشرين ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك، وذلك أن هشاما كتب إلى عامله بالبصرة - وهو القاسم ابن محمد الثقفي - أن يشخص كل من بالعراق من بني هاشم إلى المدينة خوفا من خروجهم، وكتب إلى عامل المدينة أن يحبس قوما منهم، وأن يعرضهم في كل أسبوع مرة، ويقيم لهم الكفلاء، على ألا يخرجوا منها، فقال الفضل بن عبد الرحمن من قصيدة له طويلة:

كلما حدثوا بأرض نقيقا ... ضمنونا السجون أو سيرونا
أشخصونا إلى المدينة أسرى ... لا كفاهم ربى الذى يحذرونا
خلفوا أحمد المطهر فينا ... بالذى لا يحب، واستضعفونا
قتلونا بغير ذنب إليهم ... قاتل الله أمة قتلونا !
ما رعوا حقنا ولا حفظوا فينا ... وصاة الإله بالأقربينا
جعلونا أدنى عدو إليهم ... فهم في دمائنا يسبحونا
أنكروا حقنا وجاروا علينا ... وعلى غير إحنة أبغضونا
غير أن النبي منا وأنا ... لم نزل في صلاتهم راغبينا
إن دعونا إلى الهدى لم يجيبونا ... وكانوا عن الهدى ناكبينا
أو أمرنا بالعرف لم يسمعوا منـ ... ـا وردوا نصيحة الناصحينا
لقدما ما رد نصح ذوى الرأ ... ي فلم يتبعهم الجاهلونا
فعسى الله أن يديل أناسا ... من أناس فيصبحوا ظاهرينا !
فتقر العيون من قوم سوء ... قد أخافوا وقتلوا المؤمنينا
ليت شعرى هل توجفن بى الخيـ ... ـل عليها الكماة مستلئمينا
من بنى هاشم ومن كل حي ... ينصرون الاسلام مستنصرينا
في أناس آباؤهم نصروا الديـ ... ـن، وكانوا لربهم ناصرينا
تحكم المرهفات في الهام منهم ... بأكف المعاشر الثائرينا
أين قتلى منا بغيتم عليهم ... ثم قتلتموهم ظالمينا
ارجعوا هاشما وردوا ابا اليقـ ... ـظان وابن البديل في آخرينا
وارجعو ذا الشهادتين وقتلى ... أنتم في قتالهم فاجرونا
ثم ردوا حجرا وأصحاب حجر ... يوم أنتم في قتلهم معتدونا
ثم ردوا أبا عمير وردوا ... لى رشيدا وميثما والذينا:
قتلوا بالطف يوم حسين ... من بنى هاشم، وردوا حسينا
أين عمرو وأين بشر وقتلى ... معهم بالعراء ما يدفنونا
ارجعوا عامرا وردوا زهير ... ثم عثمان، فارجعوا عازمينا
وارجعوا الحر وابن قين وقوما ... قتلوا حين جاوزوا صفينا
وارجعوا هانئا وردوا إلينا ... مسلما والرواع في آخرينا
ثم ردوا زيدا إلينا وردوا ... كل من قد قلتم أجمعينا
لن تردوهم إلينا ولسنا ... منكم غير ذلكم قابلينا[1]

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٦٥-١٦٦

سميت مخزوم ريحانة قريش لحظوة نسائها عند الرجال

١١٦- دخل خالد بن عبد الرحمن بن الوليد بن المغيرة المخزومي مسجد الكوفة، فانتهى إلى حلقة فيها أبو الصقعب التيمي، من تيم الرباب، والمخزومي لا يعرفه، وكان أبو الصقعب من أعلم الناس، فلما سمع علمه وحديثه حسده، فقال له: ممن الرجل ؟ قال: من تيم الرباب، فظن المخزومي أنه وجد فرصة، فقال: والله ما أنت من سعد الاكثرين ولا من حنظلة الاكرمين، ولا من عمرو الاشدين ! فقال أبو الصقعب: فممن انت ؟ قال من بنى مخزوم. قال: والله ما أنت من هاشم المنتخبين، ولا من أميه المستخلفين، ولا من عبد الدار المستحجبين، فبم تفخر ؟ قال: نحن ريحانة قريش، قال أبوالصقعب: قبحا لما جئت به ! وهل تدري لم سميت مخزوم ريحانة قريش ؟ سميت لحظوة نسائها عند الرجال، فافحمه[2].

زنا المغيرة

١١٧- وقال أبو الفرج: وروى إبراهيم بن سعيد عن أبيه عن جده، قال: لما ضرب أبو بكرة أمرت أمه بشاة فذبحت وجعل جلدها على ظهره، قال: إبراهيم فكان أبي يقول: ما ذاك إلا من ضرب شديد.

قال أبو الفرج: فحدثنا الجوهرى عن عمربن شبة عن على بن محمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد، عن الشعبى، قال: كانت الرقطاء التى رمى بها المغيرة تختلف إليه في أيام إمارته الكوفة في خلافة معاوية في حوائجها فيقضيها لها.

قال أبو الفرج: وحج عمر بعد ذلك مرة فوافق الرقطاء بالموسم فرآها وكان المغيرة يومئذ هناك، فقال عمر للمغيرة: ويحك ! أتتجاهل علي ! والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك وما رأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء !

قال: وكان علي (عليه السلام) بعد ذلك يقول إن ظفرت بالمغيرة لاتبعته الحجارة

قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة ويذكر هذه القصة:

لو أن اللؤم ينسب كان عبداً ... قبيح الوجه أعور من ثقيف
تركت الدين والاسلام لما ... بدت لك غدوة ذات النصيف
وراجعت الصبا وذكرت لهوا ... مع القينات في العمر اللطيف

وروى المدائني أن المغيرة لما شخص إلى عمر في هذه

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٥ ص ١٣٢

الوقعة رأى في طريقه جارية فاعجبته فخطبها إلى أبيها فقال له: وأنت على هذه الحال ! قال: وما عليك إن أبق فهو الذى تريد وإن أقتل ترثني فزوجه. وقال أبو الفرج: قال الواقدي كانت امرأة من بنى مرة تزوجها بالرقم فلما قدم بها على عمر، قال: إنك لفارغ القلب طويل الشبق.

وقد روى المدائني أن المغيرة كان أزنى الناس في الجاهلية فلما دخل في الاسلام قيده الاسلام وبقيت عنده منه بقية ظهرت في أيام ولايته البصرة[1].

لم يصب الكوفة منه أكثر من ثلاث

١١٨- وتظلم اهل الكوفة الى المأمون من واليهم فقال ما علمت في عمالي أعدل ولا أقوم بأمر الرعية ولا أعود بالرفق منه فقال له منهم واحد فلا احد اولى منك يا امير المؤمنين بالعدل والانصاف وإذا كان بهذه الصفة فمن عدل امير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى يلحق اهل كل بلد من عدله مثل ما لحقنا منه ويأخذو بقسطهم منه كما اخذ منه سواهم وإذا فعل امير المؤمنين ذلك لم يصب الكوفة منه اكثر من ثلاث سنين فضحك وعزله[2].

معاوية على منبر الكوفة

١١٩- خطب معاوية بالكوفة حين دخلها، والحسن والحسين (عليهما السلام) جالسان تحت المنبر، فذكر عليا (عليه السلام) فنال منه، ثم نال من الحسن، فقام الحسين (عليه السلام) ليرد عليه، فأخذه الحسن بيده فأجلسه، ثم قام فقال: أيها الذاكر عليا، أنا الحسن، وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله وجدك عتبة بن ربيعة، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرا، وألامنا حسبا، وشرنا قديما وحديثا، وأقدمنا كفرا ونفاقا ! فقال طوائف من أهل المسجد: آمين. قال الفضل: قال يحيى بن معين: وأنا أقول: آمين. قال أبو الفرج: قال أبو عبيد: قال الفضل: وأنا أقول، آمين ، ويقول على بن الحسين الاصفهاني: آمين. قلت: ويقول عبد الحميد بن أبى الحديد مصنف هذا الكتاب: آمين[3].

ويقول جامع هذه الاخبار: امين

ودعا إلى الطالبيين

١٢٠- روى المسعودي إن عبد الله بن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية طلب من يؤمره على الكوفة، وقد كان أهلها أحبوا أن يليهم غير بنى أمية، فقال له المختار بن أبى عبيد: اطلب رجلا له رفق وعلم بما يأتي، وتدبر قوله إياها يستخرج لك منها جندا تغلب به أهل الشام، فقال: أنت لها، فبعثه إلى الكوفة، فأتاها وأخرج ابن مطيع منها، وابتنى لنفسه دارا، وأنفق عليها مالا جليلا، وسأل عبد الله بن الزبير أن يحتسب له به من مال العراق، فلم يفعل، فخلعه وجحد بيعته، ودعا إلى الطالبيين[4].

ليس خراجك بكثير في كنه عملك

١٢١- روى ابن شهاب قال كان عمر لا يأذن لصبى قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة وهو على الكوفة يذكر له غلاما صنعا عنده ويستأذنه في دخول المدينة ويقول: إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس إنه حداد نقاش نجار فأذن له أن يرسل به إلى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في كل شهر فجاء إلى عمر يوما يشتكى إليه الخراج فقال له عمر ما ذا تحسن من الاعمال ؟ فعد له الاعمال التى يحسن فقال له ليس خراجك بكثير في كنه عملك[5].

الفصل السادس

أخبار الخوارج في الكوفة

شجاعة شبيب الخارجي

١٢٢- لما سار شبيب سار الجزل في أثره يطلبه، وجعل لا يسير إلا على تعبية وترتيب، ولا ينزل إلا على خندق، وأما شبيب فضرب في أرض جوخى، وترك الجزل، فطال أمره على الحجاج، فكتب إلى الجزل كتابا قرئ على الناس وهو: أما بعد، فإنى بعثتك في فرسان أهل المصر ووجوه الناس، وأمرتك باتباع هذه المارقة، وألا تقلع عنها حتى تقتلها وتفنيها، فجعلت التعريس في القرى، والتخييم في الخنادق، أهون عليك من المضى لمناهضتهم ومناجزتهم. والسلام. قال: فشق كتاب الحجاج على الجزل، وأرجف الناس بأمره، وقالوا: سيعزله، فما لبث الناس أن بعث الحجاج سعيد بن المجالد أميرا بدله، وعهد إليه: إذا لقى المارقة أن يزحف إليهم، ولا يناظرهم، ولا يطاولهم، ولا يصنع صنع الجزل، وكان الجزل يومئذ قد انتهى في طلب شبيب إلى النهروان، وقد لزم عسكره، وخندق عليهم، فجاء سعيد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميرا، فقام فيهم خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل الكوفة، إنكم قد عجزتم ووهنتم، وأغضبتم عليكم أميركم، أنتم في طلب هذه الاعاريب العجف منذ شهرين، قد أخربوا بلادكم، وكسروا

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٣٩
(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٩٩
(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٤٦
(٤) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٤٤
(٥) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ١٨٥

خراجكم، وأنتم حذرون في جوف هذه الخنادق لا تزايلونها إلا أن يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم، ونزلوا بلدا سوى بلدكم، اخرجوا على اسم الله إليهم. ثم خرج وخرج الناس معه فقال له الجزل: ما تريد أن تصنع ؟ قال: أقدم على شبيب وأصحابه في هذه الخيل، فقال له الجزل: أقم أنت في جماعة الناس، فارسهم وراجلهم، ولا تفرق أصحابك، ودعني أصحر له، فإن ذلك خير لك وشر لهم. فقال سعيد: بل تقف أنت في الصف، وأنا أصحر له، فقال الجزل: إني برئ من رأيك هذا، سمع الله ومن حضر من المسلمين ! فقال سعيد: هو رأيي، إن أصبت فيه، فالله وفقني، وإن أخطأت فيه فأنتم برآء. فوقف الجزل في صف أهل الكوفة، وقد أخرجهم من الخندق و جعل على ميمنتهم عياض بن أبى لينة الكندى، وعلى ميسرتهم عبد الرحمن بن عوف أبا حميد الراسبى، ووقف الجزل في جماعتهم، واستعد سعيد بن مجالد فخرج وأخرج الناس معه، وقد أخذ شبيب إلى براز الروز، فنزل قطفتا، وأمر دهقانها أن يشوى لهم غنما، ويعد لهم غداء ففعل، وأغلق مدينة قطفتا، ولم يفرغ الدهقان من طعامه حتى أحاط بها ابن مجالد، فصعد الدهقان، ثم نزل، وقد تغير لونه، فقال شبيب: ما بالك ؟ قال: قد جاءك جمع عظيم، قال: أبلغ شواؤك ؟ قال: لا، قال: دعه يبلغ، ثم أشرف الدهقان إشرافة أخرى، ثم نزل فقال: قد أحاطوا بالجوسق، قال: هات شواءك، فجعل يأكل غير مكترث بهم ولا فزع، فلما فرغ قال لاصحابه، قوموا إلى الصلاة، وقام فتوضأ، فصلى بأصحابة صلاة الاولى، ولبس درعه، وتقلد سيفه، وأخذ عموده الحديد، ثم قال: أسرجوا لي بغلتي، فقال أخوه: أ في مثل هذا اليوم تركب بغلة ؟ قال: نعم، أسرجوها، فركبها، ثم قال: يا فلان، أنت على الميمنة، وأنت يا فلان على الميسرة، وأنت يا مصاد - يعنى أخاه - على القلب، وأمر الدهقان ففتح الباب في وجوههم. فخرج إليهم وهو يحكم، وحمل حملة عظيمة، فجعل سعيد وأصحابه يرجعون القهقرى، حتى صار بينهم وبين الدير ميل، وشبيب يصيح: أتاكم الموت الزؤام ! فاثبتوا، وسعيد يصيح: يا معشر همدان، إلي إلي، أنا ابن ذي مران ! فقال شبيب لمصاد: ويحك ! استعرضهم استعراضا، فإنهم قد تقطعوا، وإنى حامل على أميرهم، وأثكلنيك الله إن لم أثكله ولده، ثم حمل على سعيد فعلاه بالعمود، فسقط ميتا وانهزم أصحابه، ولم يقتل يومئذ من الخوارج إلا رجل واحد. وانتهى قتل سعيد إلى الجزل، فناداهم: أيها الناس، إلي إلي، وصاح عياض ابن أبي لينة: أيها الناس، إن يكن أميركم هذا القادم هلك، فهذا أميركم الميمون النقيبة، أقبلوا إليه، فمنهم من أقبل إليه، ومنهم من ركب فرسه منهزما، وقاتل الجزل يومئذ قتالا شديدا حتى صرع، وحامى عنه خالد بن نهيك، وعياض بن أبى لينة، حتى استنقذاه مرتثا، وأقبل الناس منهزمين حتى دخلوا الكوفة، وأتى بالجزل جريحا حتى دخل المدائن، فكتب إلى الحجاج: أما بعد، فإنى أخبر الامير - أصلحه الله - أنى خرجت فيمن قبلى من الجند الذى وجهنى فيه إلى عدوه، وقد كنت حفظت عهد الامير إلي فيهم ورأيه، فكنت أخرج إلى المارقين إذا رأيت الفرصة، وأحبس الناس عنهم إذا خشيت الورطة، فلم أزل كذلك أدير الامر، وأرفق في التدبير، وقد أرادنى العدو بكل مكيدة، فلم يصب منى غرة، حتى قدم على سعيد بن مجالد، فأمرته بالتؤدة، ونهيته عن العجلة، وأمرته ألا يقاتلهم إلا في جماعة الناس عامة، فعصاني وتعجل إليهم في الخيل، فأشهدت الله عليه وأهل المصرين أنى برئ من رأيه الذى رأى، وأنى لا أهوى الذى صنع، فمضى فقتل، تجاوز الله عنه ! ودفع الناس إلي فنزلت ودعوتهم إلى نفسي ورفعت رايتى، وقاتلت حتى صرعت، فحملني أصحابي من بين القتلى، فما أفقت إلا وأنا على أيديهم، على رأس ميل من المعركة، وأنا اليوم بالمدائن، وفي جراحات قد يموت الانسان من دونها، وقد يعافى من مثلها، فليسأل الامير أصلحه الله عن نصيحتي له ولجنده، وعن مكايدتي عدوه، وعن موقفي يوم البأس، فإنه سيبين له عند ذلك إنى صدقته ونصحت له. والسلام. فكتب إليه الحجاج: أما بعد، فقد أتانى كتابك وقرأته وفهمت كل ما ذكرته فيه من إمر سعيد وأمر نفسك، وقد صدقتك في نصيحتك لاميرك وحيطتك على أهل مصرك، وشدتك على عدوك، وقد رضيت عجلة سعيد وتؤدتك. فأما عجلته فإنها أفضت به إلى الجنة، وأما تؤدتك فإنها ما لم تدع الفرصة إذا أمكنت حزم، وقد أحسنت وأصبت وأجرت، وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة، وقد أشخصت إليك حيان بن أبجر الطبيب ليداويك، ويعالج جراحاتك، وقد بعثت إليك بألفى درهم نفقة تصرفها في حاجتك وما ينوبك. والسلام. وبعث عبد الله بن أبى عصيفير والي المدائن إلى الجزل بألف درهم، وكان يعوده ويتعاهده بالالطاف والهدايا. وأما شبيب، فأقبل حتى قطع دجلة عند الكرخ، وأخذ بأصحابه نحو الكوفة. وبلغ الحجاج مكانه بحمام أعين، فبعث إليه سويد بن عبد الرحمن السعدى، فجهزه بألفي فارس منتخبين، وقال له: اخرج إلى شبيب فالقه ولا تتبعه، فخرج بالناس بالسبخة، وبلغه أن شبيبا قد أقبل، فسار نحوه كانما يساق إلى الموت هو وأصحابه، وأمر الحجاج عثمان بن قطن، فعسكر بالناس في السبخة، ونادى: ألا برئت الذمة من رجل من هذا الجند، بات الليلة بالكوفة، ولم يخرج إلى عثمان بن قطن بالسبخة، فبينا سويد بن عبد الرحمن يسير في الالفين الذين معه، وهو يعبيهم ويحرضهم، إذ قيل له قد غشيك شبيب، فنزل ونزل معه جل أصحابه، وقدم رايته، فأخبر أن شبيبا لما علم بمكانه تركه،

ووجد مخاضة فعبر الفرات، يريد الكوفة من غير الوجه الذي سويد ابن عبد الرحمن به، ثم قيل: أما تراهم ! فنادى في أصحابه، فركبوا في آثارهم، فأتى شبيب دار الرزق فنزلها، وقيل له: إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون، فلما بلغهم مكان شبيب، ماج الناس بعضهم إلى بعض، وجالوا وهموا بدخول الكوفة، حتى قيل: هذا سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم، وهو يقاتلهم في الخيل، ومضى شبيب حتى أخذ على شاطئ الفرات، ثم أخذ على الانبار، ثم دخل دقوقاء، ثم ارتفع إلى أداني أذربيجان وخرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة حيث بعد شبيب، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة، فما شعر الناس إلا بكتاب من مادارسب، دهقان بابل مهروز إلى عروة بن المغيرة بن شعبة، أن تاجرا من تجار الانبار من أهل بلادي أتاني يذكر أن شبيبا يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل، وأحببت إعلامك ذلك لترى رأيك، وإني لم ألبث بعد ذلك إذ جاءني اثنان من جيراني فحدثاني أن شبيبا قد نزل خانيجار. فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرح به إلى الحجاج إلى البصرة. فلما قرأ الحجاج أقبل جادا إلى الكوفة، وأقبل شبيب يسير حتى انتهى إلى قرية حربى على شاطئ دجلة، فعبرها وقال لاصحابه: يا هؤلاء إن الحجاج ليس بالكوفة، وليس دون أخذها شئ إن شاء الله. فسيروا بنا، فخرج يبادر الحجاج إلى الكوفة، وكتب عروة إلى الحجاج: إن شبيبا قد أقبل مسرعا يريد الكوفة، فالعجل العجل. فطوى الحجاج المنازل مسابقا لشبيب إلى الكوفة، فسبقه ونزلها صلاة العصر، ونزل شبيب السبخة صلاة العشاء الاخرة، فأصاب هو وأصحابه من الطعام شيئا يسيرا، ثم ركبوا خيولهم، فدخل شبيب الكوفة في أصحابه حتى انتهى إلى السوق، وشد حتى ضرب باب القصر بعموده، فحدث جماعد أنهم رأوا أثر ضربة شبيب بالعمود بباب القصر، ثم أقبل حتى وقف عند باب المصطبة، وأنشد:

وكـــأنّ حافرهـــا بكـــل ثنيـــة

فـــرق يكيـــل بـــه شـــحيح معـــدم

ثم أقحم هو وأصحابه المسجد الجامع، ولا يفارقه قوم يصلون فيه، فقتل منهم جماعة، ومر هو بدار حوشب - وكان هو على شرطة الحجاج - فوقف على بابه في جماعة، فقالوا: إن الامير - يعنون الحجاج - يدعو حوشبا، وقد أخرج ميمون غلامه برذونه ليركب، فكأنه أنكرهم، فظنوا أنه قد اتهمهم فأراد أن يدخل إلى صاحبه، فقالوا له: كما أنت حتى يخرج صاحبك إليك، فسمع حوشب الكلام، فأنكر القوم، وذهب لينصرف فعجلوا نحوه، فأغلق الباب دونه، فقتلوا غلامه ميمونا، وأخذوا برذونه، ومضوا حتى مروا بالجحاف بن نبيط الشيباني، من رهط حوشب. فقال له سويد: انزل إلينا، فقال: ما تصنع بنزولي ! فقال: انزل، إني لم أقضك ثمن البكرة التي ابتعتها منك بالبادية، فقال الجحاف: بئس ساعة القضاء هذه ! وبئس المكان لقضاء الدين هذا. ويحك ! أما ذكرت أداء أمانتك إلا والليل مظلم، وأنت على متن فرسك ! قبح الله يا سويد دينا لا يصلح ولا يتم إلا بقتل الانفس وسفك الدماء. ثم مروا بمسجد بني ذهل، فلقوا ذهل بن الحارث، وكان يصلى في مسجد قومه، فيطيل الصلاة إلى الليل، فصادفوه منصرفا إلى منزله فقتلوه ثم خرجوا متوجهين نحو الردمة، وأمر الحجاج المنادي: يا خيل الله اركبي وأبشرى، وهو فوق باب القصر، وهناك مصباح مع غلام له قائم. ثم سار عتاب بين الميمنة والميسرة يمر بأهل راية راية، فيحرض من تحتها على الصبر، ومن كلامه يومئذ: إن أعظم الناس نصيبا من الجنة الشهداء، وليس الله لاحد أمقت منه لاهل البغي، ألا ترون عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه، لا يرى ذلك إلا قربة لهم ! فهم شرار أهل الارض، وكلاب أهل النار. فلم يجبه أحد، فقال: أين القصاص يقصون على الناس، ويحرضونهم ؟ فلم يتكلم أحد، فقال: أين من يروي شعر عنترة، فيحرك الناس ؟ فلم يجبه أحد ولا رد عليه كلمة، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، والله لكأني بكم وقد تفرقتم عن عتاب وتركتموه تسفي في استه الريح، ثم أقبل حتى جلس في القلب، ومعه زهرة بن حوية، وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث

وأقبل شبيب في ستمائة، وقد تخلف عنه من الناس أربعمائة، فقال: إنه لم يتخلف عني إلا من لا أحب أن أراه معي، فبعث سويد بن سليم في مائتين إلى الميسرة، وبعث المحل بن وائل في مائتين إلى القلب، ومضى هو في مائتين إلى الميمنة، وذلك بين المغرب والعشاء الاخرة، حين أضاء القمر، فناداهم: لمن هذه الرايات ؟ قالوا: رايات همدان. فقال: رايات طالما نصرت الحق، وطالما نصرت الباطل، لها في كل نصيب، أنا أبوالمدله اثبتوا إن شئتم. ثم حمل عليهم، وهم على مسناة أمام الخندق، ففضهم، وثبت أصحاب رايات قبيصة بن والق. فجاء شبيب فوقف عليه، وقال لاصحابه: مثل هذا قوله تعالى: واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين)، ثم حمل على الميسرة ففضها، وصمد نحو القلب، وعتاب جالس على طنفسة، هو وزهرة ابن حوية، فغشيهم شبيب، فانفض الناس عن عتاب وتركوه، فقال عتاب: يا زهرة، هذا يوم كثر فيه العدد، وقل فيه الغناء، لهفى على خمسمائة فارس من وجوه الناس، ألا صابر لعدوه ! الأمواس بنفسه ! فمضى الناس على وجوههم، فلما دنا منه شبيب وثب إليه في عصابة قليلة صبرت معه، فقال له بعضهم: إن عبد الرحمن بن

محمد بن الاشعث قد هرب، وانصفق معه ناس كثير، فقال: أما إنه قد فر قبل اليوم، وما رأيت مثل ذلك الفتى، ما يبالي ما صنع، ثم قاتلهم ساعة، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط موطنا لم أبل بمثله، أقل ناصرا، ولا أكثرها ربا خاذلا، فرآه رجل من بني تغلب من أصحاب شبيب - وكان أصاب دما في قومه، والتحق بشبيب: فقال: إني لاظن هذا المتكلم عتاب ابن ورقاء، فحمل عليه فطعنه، فوقع وقتل، ووطئت الخيل زهرة بن حوية، فأخذ يذب بسيفه، وهو شيخ كبير لا يستطيع أن ينهض، فجاءه الفضل بن عامر الشيباني فقتله، وانتهى إليه شبيب، فوجده صريعا فعرفه، فقال: من قتل هذا ؟ قال الفضل: أنا قتلته، فقال شبيب: هذا زهرة بن حوية، أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة، لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك، وعظم فيه غناؤك، ولرب خيل للمشركين هزمتها، وسرية لهم ذعرتها، ومدينة لهم فتحتها ! ثم كان في علم الله أن تقتل ناصرا للظالمين. وقتل يومئذ وجوه العرب من عسكر العراق في المعركة: واستمكن شبيب من أهل العسكر، فقال: ارفعوا عنهم السيف، ودعاهم إلى البيعة، فبايعه الناس عامة من ساعتهم، واحتوى على جميع ما في العسكر، وبعث إلى أخيه وهو بالمدائن، فأتاه فأقام بموضع المعركة يومين، ودخل سفيان بن الابرد الكلبي، وحبيب بن عبد الرحمن فيمن معهما إلى الكوفة، فشدوا ظهر الحجاج، واستغنى بهم عن أهل العراق، ووصلته أخبار عتاب وعسكره، فصعد المنبر، فقال: يا أهل الكوفة، لا أعز الله من أراد بكم العز، ولا نصر من أراد منكم النصر، اخرجوا عنا فلا تشهدوا معنا قتال عدونا، والحقوا بالحيرة، فانزلوا مع اليهود والنصارى، ولا يقاتلن معنا إلا من لم يشهد قتال عتاب بن ورقاء. وخرج شبيب يريد الكوفة، فانتهى إلى سورا، فقال لاصحابه: أيكم يأتيني برأس عاملها، فانتدب إليه قطين، وقعنب، وسويد، ورجلان من أصحاب شبيب، فكانوا خمسة، وساروا حتى انتهوا إلى دار الخراج، والعمال فيها، فقالوا: أجيبوا الامير، فقال الناس: أي أمير ؟ قالوا: أمير قد خرج من قبل الحجاج، يريد هذا الفاسق شبيبا، فاغتر بذلك عامل سورا، فخرج إليهم فلما خالطهم شهروا السيوف، وحكموا وخبطوه بها حتى قتلوه، وقبضوا ما وجدوا في دار الخراج من مال، ولحقوا بشبيب. فلما رأى شبيب البدر، قال: أتيتمونا بفتنة المسلمين ! هلم يا غلام الحربة، فخرق بها البدر، وأمر أن تنخس الدواب التى كانت البدر عليها، فمرت رائحة، والمال يتناثر من البدر، حتى وردت الصراة، فقال: إن كان بقى شئ فاقذفوه في الماء. وقال سفيان بن الابرد للحجاج: ابعثنى إلى شبيب أستقبله قبل أن يرد الكوفة، فقال: لا، ما أحب أن نفترق حتى ألقاه في جماعتكم، والكوفة في ظهرنا، وأقبل شبيب حتى نزل حمام أعين، دعا الحجاج الحارث بن معاوية بن أبى زرعة بن مسعود الثقفى فوجهه في ناس لم يكونوا شهدوا يوم عتاب. فخرج في ألف رجل، حتى انتهى إلى شبيب ليدفعه عن الكوفة، فلما رآه شبيب حمل عليه فقتله، وفل أصحابه. فجاءوا حتى دخلوا الكوفة، وبعث شبيب البطين في عشرة فوارس يرتادون له منزلا على شاطئ الفرات، في دار الرزق، فوجه الحجاج حوشب بن يزيد، في جمع من أهل الكوفة، فأخذوا بأفواه السكك، فقاتلهم البطين فلم يقو عليهم، فبعث إلى شبيب، فأمده بفوارس من أصحابه، فعقروا فرس حوشب وهزموه، فنجا بنفسه، ومضى البطين إلى دار الرزق في أصحابه، ونزل شبيب بها، ولم يوجه إليه الحجاج أحدا، فابتنى مسجدا في أقصى السبخة، وأقام ثلاثا لم يوجه إليه الحجاج أحدا، ولا يخرج إليه من أهل الكوفة، ولا من أهل الشام أحد، وكانت امرأته غزالة نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين، تقرأ فيهما بالبقرة وآل عمران فجاء شبيب مع امرأته حتى أوفت بنذرها في المسجد، وأشير على الحجاج أن يخرج بنفسه إليه، فقال لقتيبة بن مسلم: إني خارج، فاخرج أنت، فارتد لي معسكرا، فخرج وعاد، فقال: وجدت المدى سهلا، فسر أيها الامير على اسم الله والطائر الميمون، فخرج الحجاج بنفسه، ومر على مكان فيه كناسة وأقذار، فقال: ألقوا لى هنا بساطا، فقيل له: إن الموضع قذر، فقال: ما تدعوني إليه أقذر، الارض تحته طيبة، والسماء فوقة طيبة. ووقف هناك وأخرج مولى له يعرف بأبى الورد، وعليه تجفاف، وأحاط به غلمان كثير، وقيل: هذا الحجاج، فحمل عليه شبيب فقتله، وقال: إن يكن الحجاج، فقد أرحت الناس منه، ودلف الحجاج نحوه حينئذ، وعلى ميمنته مطر بن ناجية، وعلى ميسرته خالد بن عتاب بن ورقاء، وهو في زهاء أربعة آلاف، فقيل له: أيها الامير لا نعرف شبيبا بمكانك، فتنكر، وأخفى مكانه، وتشبه به مولى آخر للحجاج في هيئته وزيه، فحمل عليه شبيب، فضربه بالعمود فقتله، ويقال إنه قال لما سقط: (أخ) بالخاء المعجمة فقال شبيب: قاتل الله ابن أم الحجاج ! اتقى الموت بالعبيد، وذلك أن العرب تقول عند التأوه (أح) بالحاء المهملة. ثم تشبه بالحجاج أعين صاحب حمام أعين، ولبس لبسته، فحمل عليه شبيب فقتله، فقال الحجاج: عليّ بالبغل لاركبه، فأتي ببغل محجل، وقيل: أيها الامير، أصلحك الله ! إن الاعاجم كانت تتطير أن تركب مثل هذا البغل في مثل هذا اليوم، فقال: أدنوه منى فإنه أغر محجل، وهذا يوم أغر محجل، فركبه، ثم سار في الناس يمينا وشمالا ثم قال: اطرحوا لي عباءة، فطرحت له، فنزل فجلس عليها، ثم قال: ائتوني بكرسي، فأتي به، فقام فجلس عليه، ثم نادى أهل الشام، فقال: يا أهل الشام، يا أهل السمع والطاعة، لا يغلبن باطل هؤلاء الارجاس حقكم،

غضوا الابصار، واجثوا على الركب، واستقبلوا القوم بأطراف الاسنة، فجثوا على الركب، وكأنهم حرة سوداء. ومنذ هذا الوقت ركدت ريح شبيب، وأذن الله تعالى في إدبار أمره، وانقضاء أيامه فأقبل، حتى إذا دنا من أهل الشام عبى أصحابه ثلاثة كراديس، كتيبة معه، وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحل بن وائل، وقال لسويد: احمل عليهم في خيلك، فحمل عليهم فثبتوا له حتى إذا غشى أطراف أسنتهم، وثبوا في وجهه، فقاتلهم طويلا، فصبروا له، ثم طاعنوه، قدما قدما، حتى ألحقوه بأصحابه. فلما رأى شبيب صبرهم، نادى: يا سويد، احمل في خيلك في هذه الرايات الاخرى، لعلك تزيل أهلها، فتأتى الحجاج من ورائه، ونحمل نحن عليه من أمامه. فحمل سويد على تلك الرايات، وهى بين جدران الكوفة، فرمى بالحجارة من سطوح البيوت، ومن أفواه السكك، فانصرف ولم يظفروا. ورماه عروة بن المغيرة بن شعبة بالسهام، وقد كان الحجاج جعله في ثلاثمائة رام من أهل الشام ردءا له كي لا يؤتى من ورائه، فصاح شبيب في أصحابه. يا أهل الاسلام ! إنما شريتم لله، ومن يكن شراؤه لله لم يضره ما أصابه من ألم وأذى، لله أبوكم ! الصبر الصبر، شدة كشداتكم الكريمة في مواطنكم المشهورة. فشدوا شدة عظيمة، فلم يزل أهل الشام عن مراكزهم، فقال شبيب: الارض ! دبوا دبيبا تحت تراسكم، حتى إذا صارت أسنة أصحاب الحجاج فوقها، فأذلقوها صعدا، وادخلوا تحتها، واضربوا سوقهم وأقدامهم، وهى الهزيمة بإذن الله. فأقبلوا يدبون دبيبا تحت الحجف: صمدا صمدا، نحو أصحاب الحجاج.

فقال خالد بن عتاب بن ورقاء: أيها الامير، أنا موتور، ولا أتهم في نصيحتي، فأذن لي حتى آتيهم من ورائهم، فأغير على معسكرهم وثقلهم، فقال: افعل ذلك، فخرج في جمع من مواليه وشاكريته وبنى عمه، حتى صار من ورائهم، فالتقى بمصاد أخى شبيب فقتله، وقتل غزالة امرأة شبيب، وألقى النار في معسكرهم، والتفت شبيب والحجاج، فشاهدا النار، فأما الحجاج فكبر وكبر أصحابه، وأما شبيب، فوثب هو وكل راجل من أصحابه على خيولهم مرعوبين، فقال الحجاج لاصحابه: شدوا عليهم، فقد أتاهم ما أرعبهم، فشدوا عليهم، فهزموهم، وتخلف شبيب في خاصة الناس، حتى خرج من الجسر، وتبعه خيل الحجاج، وغشيه النعاس، فجعل يخفق برأسه، والخيل تطلبه. قال أصغر الخارجي: كنت معه ذلك اليوم، فقلت: يا أمير المؤمنين، التفت فانظر من خلفك، فالتفت غير مكترث، وجعل يخفق برأسه. قال: ودنوا منا، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد دنا القوم منك، فالتفت والله ثانية غير مكترث بهم، وجعل يخفق برأسه، وبعث الحجاج خيلا تركض تقول: دعوه يذهب في حرق الله، فتركوه وانصرفوا عنه. ومضى شبيب بأصحابه، حتى قطعوا جسر المدائن، فدخلوا ديرا هناك، وخالد بن عتاب يقفوهم، فحصرهم في الدير، فخرج شبيب إليه فهزمه وأصحابه نحوا من فرسخين، حتى ألقى خالد نفسه في دجلة هو وأصحابه بخيولهم، فمر به شبيب، فرآه في دجلة، ولواؤه في يده، فقال: قاتله الله فارسا، وقاتل فرسه ! فرساً. هذا أشد الناس قوة، وفرسه أقوى فرس في الارض، وانصرف، فقيل له بعد انصرافه: إن الفارس الذى رأيت هو خالد بن عتاب بن ورقاء، فقال: معرق في الشجاعة ! لو علمت لاقحمت خلفه، ولو دخل النار. ثم دخل الحجاج الكوفة بعد هزيمة شبيب، فصعد المنبر، وقال: والله ما قوتل شبيب قط قبل اليوم، ولى هاربا، وترك امرأته يكسر في استها القصب. ثم دعا حبيب بن عبد الرحمن فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام، وقال: احذر بياته، وحيثما لقيته فنازله، فإن الله تعالى قد فل حده، وقصم نابه. فخرج حبيب في أثره، حتى نزل الانبار، وبعث الحجاج إلى العمال: أن دسوا إلا اصحاب شبيب، من جاءنا منكم فهو آمن، فكان كل من ليست له بصيرة في دين الخوارج، ممن هزه القتال. وكرهه ذلك اليوم يجئ فيؤمن. وقبل ذلك كان الحجاج نادى يوم هزم شبيب: من جاءنا فهو آمن، فتفرق عن شبيب ناس كثير من أصحابه. وبلغ شبيبا منزل حبيب بن عبد الرحمن بالانبار، فأقبل بأصحابه حتى دنا منه، فقال يزيد السكسكى: كنت مع أهل الشام بالانبار ليلة جاءنا شبيب، فبيتنا، فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن، فجعلنا أرباعا، وجعل على كل ربع أميرا، وقال لنا: ليحم كل ربع منكم جانبه، فإن قتل هذا الربع فلا يعنهم الربع الاخر، فإنه بلغني أن الخوارج منكم قريب، فوطنوا أنفسكم على أنكم مبيتون فمقاتلون، قال: فما زلنا على تعبيتنا حتى جاءنا شبيب تلك الليلة فبيتنا، فشد على ربع منا فصابرهم طويلا، فما زالت قدم إنسان منهم. ثم تركهم وأقبل إلى ربع آخر، فقاتلهم طويلا فلم يظفر بشئ، ثم طاف بنا يحمل علينا ربعا ربعا، حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ولصق بنا حتى قلنا: لا يفارقنا، ثم ترجل فنازلنا راجلا نزالا طويلا هو وأصحابه، فسقطت والله بيننا وبينهم الايدى والارجل، وفقئت الاعين، وكثرت القتلى، فقتلنا منهم نحو ثلاثين، وقتلوا منا نحو مائة، وايم الله لو كانوا أكثر من مائتي رجل لاهلكونا، ثم فارقونا وقد مللناهم وملونا، وكرهناهم وكرهونا، ولقد رأيت الرجل منا يضرب الرجل منهم بالسيف فما يضره من الاعياء والضعف، ولقد رأيت الرجل منا يقاتل جالسا ينفخ بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الاعياء والبهر. حتى ركب شبيب، وقال لاصحابه الذين نزلوا معه: اركبوا، وتوجه بهم منصرفا عنا. فقال فروة بن لقيط الخارجي - وكان شهد معه مواطنه كلها - قال لنا ليلتئذ، وقد رأى بنا كآبة ظاهرة، وجراحات شديدة: ما

أشد هذا الذى بنا لو كنا نطلب الدنيا ! وما أيسر هذا في طاعة الله وثوابه ! فقال أصحابه: صدقت يا أمير المؤمنين. قال فروة بن لقيط: وسمعته تلك الليلة يحدث سويد بن سليم، ويقول له: لقد قتلت منهم أمس رجلين من أشجع الناس، خرجت عشية أمس طليعة لكم، فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم، فاشترى أحدهم حاجته، وخرج قبل أصحابه فخرجت معه، فقال لي: أراك لم تشتر علفا! فقلت: إن لي رفقاء قد كفوني ذلك، ثم قلت له: أين ترى عدونا هذا نزل ؟ فقال: بلغني أنه قد نزل قريبا منا، وايم الله لوددت أني لقيت شبيبهم هذا، قلت: أ فتحب ذلك ؟ قال: إى والله، قلت: فخذ حذرك، فأنا والله شبيب، وانتضيت السيف، فخر والله ميتا فقلت له: ارتفع ويحك ! وذهبت أنظر فإذا هو قد مات فانصرفت راجعا، فاستقبلت الاخر خارجا من القرية، فقال: أين تذهب هذه الساعة التى يرجع فيها الناس إلى معسكرهم ؟ فلم أكلمه، ومضيت، فنفرت بي فرسي، وذهبت تتمطر، فإذا به في أثري حتى لحقني، فعطفت عليه، وقلت: ما بالك ؟ قال: أظنك والله من عدونا. قلت: أجل والله، قال: إذا لا تبرح حتى أقتلك أو تقتلني، فحملت عليه وحمل علي، فاضطربنا بسيفينا ساعة، فو الله ما فضلته في شدة نفس ولا إقدام، إلا أن سيفى كان أقطع من سيفه فقتلته. وبلغ شبيبا أن جند الشام الذى مع حبيب حملوا معهم حجرا، وحلفوا لا يفرون حتى يفر هذا الحجر، فأراد أن يكذبهم، فعمد إلى أربعة أفراس، وربط في أذنابها ترسة، في ذنب كل فرس ترسين، ثم ندب ثمانية نفر من أصحابه، وغلاما له يقال له حيان - كان شجاعا فاتكا - وأمره أن يحمل معه إداوة من ماء، ثم سار ليلا حتى أتى ناحية من عسكر أهل الشام، فأمر أصحابه أن يكونوا في نواحى العسكر الاربع، وأن يكون مع كل رجلين فرس: ثم يلبسوها الحديد حتى تجد حره، ثم يخلوها في العسكر، وواعدهم تلعة قريبة من العسكر، وقال: من نجا منكم، فإن موعده التلعة، فكره أصحابه الاقدام على ما أمرهم، فنزل بنفسه حتى صنع بالخيل ما أمرهم به، حتى دخلت في العسكر، ودخل هو يتلوها، ويشد خلفها شدا محكما، فتفرقت في نواحى العسكر، واضطرب الناس، فضرب بعضهم بعضا، وماجوا، ونادى حبيب بن عبد الرحمن: ويحكم إنها مكيدة ! فالزموا الارض حتى يتبين لكم الامر، ففعلوا، وحصل شبيب بينهم، فلزم الارض معهم، حتى رآهم قد سكنوا، وقد أصابته ضربة عمود أوهنته. فلما هدأ الناس ورجعوا إلى مراكزهم خرج في غمارهم، حتى أتى التلعة، فإذا مولاه حيان، فقال: أفرغ ويحك علي رأسي من هذه الاداوة ! فلما مد رأسه ليصب عليه من الماء هم حيان بضرب عنقه، وقال لنفسه: لا أجد مكرمة لي، ولا ذكرا أرفع من هذا في هذه الخلوة، وهو أمانى من الحجاج، فأخذته الرعدة حين هم بما هم به، فلما أبطأ عليه، قال له: ويحك ! ما انتظارك بحلها ! ناولنيها، وتناول السكين من موزجه فخرقها به، ثم ناوله إياها، فأفرغ عليه من الماء، فكان حيان بعد ذلك يقول: لقد هممت فأخذتني الرعدة فجبنت عنه، وما كنت أعهد نفسي جبانا. ابن عبد الرحمن، وقال: تبعت سفيان إلى رجل قد فللته، وقتلت فرسانه ! وكان شبيب قد أقام بكرمان حتى جبر، واستراش هو وأصحابه، فمضى سفيان بالرجال، واستقبله شبيب بدجيل الاهواز، وعليه جسر معقود، فعبر إلى سفيان، فوجده قد نزل بالرجال، وجعل مهاصر بن صيفي على خيله، وبشر بن حسان الفهرى على ميمنته، وعمر بن هبيرة الفزارى على ميسرته، وأقبل شبيب في ثلاثة كراديس، هو في كتيبة، وسويد بن سليم في كتيبة، وقعنب في كتيبة، وخلف المحلل في عسكره، فلما حمل سويد وهو في ميمنته على ميسرة سفيان وقعنب وهو في ميسرته على ميمنة سفيان، حمل هو على سفيان، ثم اضطربوا مليا، حتى رجعت الخوارج إلى مكانها الذى كانوا فيه. فقال يزيد السكسكى - وكان من أصحاب سفيان يومئذ: كر علينا شبيب وأصحابه أكثر من ثلاثين كرة، ولا يزول من صفنا أحد، فقال لنا سفيان: لا تحملوا عليهم متفرقين، ولكن لتزحف عليهم الرجال زحفا، ففعلنا، وما زلنا نطاعنهم حتى اضطررناهم إلى الجسر، فقاتلونا عليه أشد قتال يكون لقوم قط ثم نزل شبيب، ونزل معه نحو مائة رجل، فما هو إلا أن نزلوا حتى أوقعوا بنا من الضرب والطعن شيئا ما رأينا مثله قط ولا ظننا ه يكون، فلما رأى سفيان أنه لا يقدر عليهم، ولا يأمن ظفرهم، دعا الرماة فقال: ارشقوهم بالنبل، وذلك عند المساء، وكان الالتقاء ذلك اليوم نصف النهار، فرشقهم أصحابه، وقد كان سفيان صفهم على حدة، وعليهم أمير، فلما رشقوهم شدوا عليهم، فشددنا نحن، وشغلناهم عنهم، فلما رأوا ذلك ركب شبيب وأصحابه، وكروا على أصحاب النبل كرة شديدة، صرعوا منهم فيها أكثر من ثلاثين راميا، ثم عطف علينا يطاعننا بالرماح، حتى اختلط الظلام، ثم انصرف عنا، فقال سفيان بن الابرد لاصحابه يا قوم، دعوهم لا تتبعوهم، يا قوم دعوهم لا تتبعوهم حتى نصبحهم. قال: فكففنا عنهم وليس شئ أحب إلينا من أن ينصرفوا عنا. قال فروة بن لقيط الخارجي: فلما انتهينا إلى الجسر، قال شبيب: اعبروا معاشر المسلمين فإذا أصبحنا باكرناهم إن شاء الله تعالى، قال: فعبرنا أمامه، وتخلف في آخرنا، وأقبل يعبر الجسر، وتحته حصان جموح، وبين يديه فرس أنثى ماذيانة، فنزا حصانه عليها وهو على الجسر، فاضطربت الماذيانة وزل حافر فرس شبيب عن حرف السفينة، فسقط في الماء، فسمعناه يقول لما سقط: ﴿**لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً**

كانَ مَفْعُولاً﴾ واغتمس في الماء ثم ارتفع فقال: ﴿ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ثم اغتمس في الماء، فلم يرتفع. هكذا روى أكثر الناس. وقال قوم: إنه كان مع شبيب رجال كثير بايعوه في الوقائع التى كان يهزم الجيش فيها، وكانت بيعتهم إياه على غير بصيرة، وقد كان أصاب عشائرهم وساداتهم، فهم منه موتورون، فلما تخلف في أخريات الناس يومئذ، قال بعضهم لبعض: هل لكم أن نقطع به الجسر، فندرك ثأرنا الساعة ! فقالوا: هذا هو الرأى، فقطعوا الجسر، فمالت به السفينة: ففزع حصانه ونفر، فسقط في الماء وغرق. والرواية الاولى أشهر، فحدث قوم من أصحاب سفيان، قالوا: سمعنا صوت الخوارج يقولون: غرق أمير المؤمنين، فعبرنا إلى عسكرهم، فإذا هو ليس فيه صافر ولا أثر، فنزلنا فيه، وطلبنا شبيبا حتى استخرجناه من الماء، وعليه الدرع، فيزعم الناس أنهم شقوا بطنه وأخرجوا قلبه فكان مجتمعا صلبا كالصخرة، وأنه كان يضرب به الارض فينبو، ويثب قامة الانسان. ويحكى أن أم شبيب كانت لا تصدق أحدا نعاه إليها، وقد كان قيل لها مرارا إنه قد قتل فلا تقبل، فلما قيل لها: إنه قد غرق بكت، فقيل لها في ذلك، فقالت: رأيت في المنام حين ولدته أنه خرج من فرجى نار ملات الافاق، ثم سقطت في ماء فخمدت، فعلمت أنه لا يهلك إلا بالغرق[1].

أسد عليَّ وفى الحروب نعامة

١٢٣- ذكر صاحب الاغانى أن غزاله الحرورية لما دخلت على الحجاج هي وشبيب بالكوفة تحصن منها أغلق عليه قصره، فكتب إليه عمران بن حطان - وقد كان الحجاج لج في طلبه:

أسد عليَّ وفى الحروب نعامة
ربداء تجفل من صفير صافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى
بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس
تركت مدابره كامس الدابر[2].

أطعموني ماء

١٢٤- خرج مغيرة بن سعيد العجلى في ثلاثين رجلا بظهر الكوفة، فعطعطوا، وخالد بن عبد الله القسرى أمير العراق، يخطب على المنبر فعرق، واضطرب وتحير، وجعل يقول: اطعموني ماء، فهجاه ابن نوفل فقال:

أخالد لاجزاك الله خيرا
وإيري في حرامك من أمير
تروم الفخر في أعراب قسر
كأنك من سراة بني جرير
جرير من ذوي يمن أصيل
كريم الأصل ذو خطر كثير
وأمك علجة وأبوك وغد
وما الأذناب عدل للصدور !
وكنت لدى المغيرة عبد سوء
تبول من المخافة للزئير
لا علاج ثمانية وشيخ
كبير السن ليس بذى ضرير
صرخت من المخافة: أطعموني
شراباً ثم بلت على السرير

وقال آخر يعيره بذلك:

بل المنابر من خوف ومن دهش
واستطعم الماء لماجد في الهرب[3].

أفأقاتل عنك قوماً أنت والله أولى بالقتال منهم

١٢٥- من الخوارج على معاوية بعد قتل علي، حوثرة الأسدي، وحابس الطائي، خرجا في جمعهما، فصارا إلى مواضع أصحاب النخيلة، ومعاوية يومئذ بالكوفة قد دخلها في عام الجماعة، وقد نزل الحسن بن علي، وخرج يريد المدينة، فوجه إليه معاوية - وقد تجاوز في طريقه - يسأله أن يكون المتولي لمحاربة الخوارج، فكان جواب الحسن: والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين، وما أحسب ذاك يسعني، أفأقاتل عنك قوما أنت والله أولى بالقتال منهم !

قلت: هذا موافق لقول أبيه: «**لا تقاتلوا الخوارج بعدى، فليس من طلب الحق فأخطأه، مثل من طلب الباطل فأدركه**»، وهو الحق الذي لا يعدل عنه، وبه يقول أصحابنا، فإن الخوارج عندهم أعذر من معاوية، وأقل ضلالا، ومعاوية أولى بأن يحارب منهم[4].

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٢٤٠
(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ١٢٦
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١١٠
(٤) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٩٨